الخَلاص الذَّاتي
"دراسة في اللَّاهوت الأنثروبولوجي المُتَحرّر عند بِيلاجيُوس"

د. غـــلاب علـيَّو حمـــادة عثمـــان (*)

يُعد "بيلاجيوس" Pelagius (٣٥٤- ٤١٨م) واحدًا من أهم الفلاسفة المتحررين دينيًا في فلسفة العصور الوسطى عامة، وفي الفكر المسيحي المبكر خاصة؛ وذلك لإعتماده على منهج عقلي في معالجاته الدينية، فقدم فلسفة أنثروبولوجية Anthropology دينية متحررة عقلانيًّا في فترة هيمنة الكنيسة على كافة أوجة الحياة العقائدية من ناحية، والفكرية من ناحية أخرى، لقد تبنى "بيلاجيوس" أنثروبولوجيا تُعلي من مكانة الإنسان في الحياة، وتدعو إلى الوعي الذاتي؛ لتحقيق الخلاص ذاتيًّا، فقد دعت إلى حرية الإرادة الإنسانية في إدارة كافة الأفعال، فضلًا عن رفضها لفكرة وراثة الخطيئة الأصلية، وأن البشر يرثون خطيئة "آدم" (عليه السلام)، ويجب التكفير عنها، ليس هذا فحسب بل دعت أيضًا إلى خيرية الطبيعة الإنسانية، وأنها ليست فاسدة أو محملة بأية خطيئة، وأن الإنسان ليس بحاجة إلى نعمة إلهية يتلقاها حتى تصبح أفعاله صالحة، بل أن أفعاله هي التي تحدد مصيره في الحياة الدنيا، وكذلك في حياته الأخروية.

الكلمات المفتاحية: الخلاص – اللاهوت – الأنثروبولوجيا– حرية الإرادة– بيلاجيوس.

Self-Salvation
A Study in Pelagius' Liberated Anthropological Theology

Pelagius (354-418 AD) is considered one of the most significant religiously liberated philosophers in medieval philosophy in general and early Christian thought in particular. This is due to his reliance on a rational approach in his theological anthropology. He presented a rationally liberated religious anthropological philosophy during a period when the church dominated all aspects of doctrinal and intellectual life. Pelagius adopted an anthropology that elevates the status of man in life and calls for self-awareness to achieve self-salvation. He advocated for the freedom of the human will in managing all actions and rejected the idea of inheriting original sin, that humans inherit the sin of Adam (peace be upon him), and must atone for it. Moreover, he advocated for the goodness of human nature, that it is not corrupt or burdened with any sin, and that man does not need divine grace to be received in order for his actions to be righteous. However, his actions are what determine his fate in this life and in the afterlife.

Keys words: Salvation – Theology- Anthropology – free will- Pelagius

(*)مدرس فلسفة العصور الوسطى الأوربية، قسم الفلسفة، كلية الآداب، جامعة سوهاج، مصر.
ghallab_alabnody@art.sohag.edu.eg

المقدمة:

يُعد "بيلاجيوس" Pelagius (٣٥٤- ٤١٨م) واحدًا من أهم الفلاسفة المتحررين دينيًا في فلسفة العصور الوسطى عامة، وفي الفكر المسيحي المبكر خاصة؛ وذلك لإعتماده على منهج عقلي في معالجاته الدينية، فقدم فلسفة أنثروبولوجية Anthropology دينية متحررة عقلانيًا في فترة هيمنة الكنيسة على كافة أوجة الحياة العقائدية من ناحية، والفكرية من ناحية أخرى، لقد تبنى "بيلاجيوس" أنثروبولوجيا تُعلي من مكانة الإنسان في الحياة، وتدعو إلى الوعي الذاتي؛ لتحقيق الخلاص ذاتيًا، فقد دعت إلى حرية الإرادة الإنسانية في إدارة كافة الأفعال، فضلًا عن رفضها لفكرة وراثة الخطيئة الأصلية، وأن البشر يرثون خطيئة "آدم" (عليه السلام)، ويجب التكفير عنها، ليس هذا فحسب بل دعت أيضًا إلى خيرية الطبيعة الإنسانية، وأنها ليست فاسدة أو محملة بأية خطيئة، وأن الإنسان ليس بحاجة إلى نعمة إلهية يتلقاها حتى تصبح أفعاله صالحة، بل أن أفعاله هي التي تحدد مصيره في الحياة الدنيا، وكذلك في حياته الأخروية.

كما أن دعوة "بيلاجيوس" لفلسفته الأنثروبولوجية المتحررة تمثل ثورة فكرية ودينية على حد سواء، فهي تمثل ثورة على السياقات الفكرية التي كانت سائدة آنذاك، والتي تجعل الإنسان يخضع للكنيسة دون أن تكون له أي إستحقاقات، أو جدارات تُنسب له، فكان أشبه بالدومية التي تحركها الكنيسة كيفما شاءت، فكانت دعوته في حقيقة الأمر دعوة لتنمية استقلال الذات من ناحية، وللإصلاح الديني، والأخلاقي، والإجتماعي، والسياسي من ناحية أخرى.

فالخلاص في الفلسفة البيلاجية كان خلاصًا ذاتيًا يحققه الإنسان بفعل حرية إرادته، وليس خلاصًا خارجيًا يحققه المسيح كمخلص للبشرية من الخطايا المتوارثة، وكذلك ليس خلاصًا تحققه الكنيسة بإعتبارها وريثة المسيح في الخلاص، وليس خلاصًا من قبل الآباء والقديسيين بإعتبارهم ورثاء الخلاص من المسيح، وبإعتبارهم ينتمون للكنيسة التي تمثل كلمة الله على الأرض ولا خلاص خارجها.

فكان لفلسفة "بيلاجيوس" الأنثروبولوجية المتحررة ردود أفعال كثيرة من قبل اللاهوتيين من ناحية، والكنيسة من ناحية أخرى، فقد دخل اللاهوتيون المعاصرون له، ومن أشهرهم: "جيروم" Jerome (٣٤٢- ٤٢٠م) و"أوغسطين" Augustin (٣٥٤- ٤٣٠م) في حروب جدليَّة معه ومع وتلاميذه حول القضايا التي طرحها وخاصة "حرية الإرادة الإنسانية"، و"رفض الخطيئة الأصلية"، و"خيرية الطبيعة الإنسانية"، و"عدم ضرورة وجود النعمة الإلهية لتحقيق الخلاص"، أما بالنسبة للكنيسة فقد قامت بإدانة "بيلاجيوس" والفلسفة البيلاجية عامة في أكثر من مجمع كنسي، وحكم عليها بالهرطقة وتحريمها.

إلا أن الفلسفة البيلاجية لم تندثر، بل استطاع تلاميذ "بيلاجيوس" تشكيل ملامح فلسفة أطلق عليها اسم "الفلسفة البيلاجية" Pelagianism، كما شكل فريق أخر من أتباعه مدرسة أصبحت تعرف بإسم

"الفلسفة شبه البيلاجية" Semi– Pelagianism أو "أنصاف البيلاجية"، وهي التي وقفت موقفًا وسطًا بين أفكار الفلسفة البيلاجية، وبين آراء اللاهوتيين المعاصرين لـ"بيلاجيوس".

وتكمن أهمية هذه الدراسة في كونها أول دراسة باللغة العربية – في حدود علم الباحث – تعالج فلسفة بيلاجيوس بشكل رئيس.

أما بالنسبة لأهداف الدراسة، فيمكن بلورتها في عدة نقاط، وهي:

- محاولة كشف النقاب عن أحد أهم الفلسفات الأنثوبولوجية المتحررة في فلسفة العصور الوسطى المبكرة، والتي ساد الاعتقاد بأنها ظلامية، وتخلو من الفكر الفلسفي الحر.
- إبراز فلسفة "بيلاجيوس" (الفلسفة البيلاجية)، ومحاورها الأساسية.
- الوقوف على حقيقة الحروب الجدلية التي دارت بين "بيلاجيوس" وأتباعه واللاهوتيين المعاصرين له.

وسوف تعالج هذه الدراسة إشكالية رئيسة، ألا وهي: **ما الملامح الأساسية للأنثروبولوجيا المتحررة التي تحقق الخلاص الذاتي عند "بيلاجيوس"؟** وستتفرع من هذه الإشكالية عِدَّة تساؤلات من أهمها:

- كيف تأسست كل من: الفلسفة البيلاجية، والفلسفة شبه البيلاجية؟
- ما مراحل تطور الفلسفة البيلاجية في ضوء السياقات المتعددة التي كانت سائدة آنذاك؟
- ما مفهوم حرية الإرادة الإنسانية عند بيلاجيوس؟، وما طبيعة الجدال الذي حدث بينه وبين اللاهوتيين المعاصرين له؟
- ما الأسس التي عوَّل عليها "بيلاجيوس" في نقده لمفهوم وراثة الخطيئة الأصلية؟ وما الجدال الذي دار بينه وبين اللاهوتيين المعاصرين له حول هذا النقد؟
- كيف برهن "بيلاجيوس" على خيرية الطبيعة الإنسانية؟
- ما تصور "بيلاجيوس" لمفهوم "النعمة"؟
- هل أعلن "بيلاجيوس" إيمانه، وما أهم العقائد التي ناقشها؟
- ما الملامح الإصلاحية التي دعى لها "بيلاجيوس"؟

أما بالنسبة لمنهج الدراسة، اعتمدت الدراسة على "**المنهج التحليلي**"، وذلك من خلال تحليل نصوص بيلاجيوس، وبيان معانيها ودلالاتها الحقيقية، وكذلك تحليل الحجج الجدلية التي قدمها معارضوه؛ للوقوف على حقيقة أفكار كل منهما، واستعانت الدراسة أيضًا بـ"**المنهج المقارن**"، من خلال مقارنة أفكار "بيلاجيوس"، وأفكار أتباعه من "البيلاجيين"، و"شبه البيلاجيين" مع أفكار كل من: "جيروم" و"أوغسطين"، منتى سمح السياق للمقارنة، بالاضافة "للمنهج النقدي"، لنقد الأفكار وتقييمها.

ويمكن تقسيم الدراسة إلى سبعة محاور رئيسة، تسبقها مقدمة، نتناول فيها المخطط العام للدراسة، وتعقبها خاتمة، نتناول فيها نتائج وأهم توصيات الدراسة، وستكون المحاور على النحو التالي:

أولًا: الفلسفة البيلاجية، ومراحل تطورها في السياق اللاهوتي والفلسفي.

ثانيًا: حرية الإرادة الإنسانية عند "بيلاجيوس".

ثالثًا: نقد "بيلاجيوس" لوراثة الخطيئة الأصلية.

رابعًا" دعوة "بيلاجيوس" لخيرية الطبيعة الإنسانية.

خامسًا: تأويل "بيلاجيوس" لمفهوم "النعمة الإلهية".

سادسًا: أسس الإيمان الديني عند "بيلاجيوس".

سابعًا: ملامح الإصلاح الديني والاجتماعي للفلسفة البيلاجية.

تمهيد:

إنه لا يمكن إعادة النظر في المفاهيم والأفكار دون النظر في التقاليد والسياقات، ولا يمكن دراسة النصوص بمعزل عن سياقاتها الاجتماعيَّة، والسياسيَّة، والدينيَّة، ولا يمكن استخلاص وجهات نظر عامة،[١] حيث كانت ثمة مفاهيم متصارعة للتكوين الديني للإنسان، كان من شأنها أن قسّمت وبشكل غير متكافيء الغرب في بداية القرن الخامس الميلادي إلى "البيلاجية" التي كانت تُعلي من شأن الإنسان، وتَنسب إليه قوة كبيرة، و"الأوغسطينية" التي تضع حدودًا وقيودًا على قوة الإنسان وقيمته.[٢] إلا أن الغلبة كانت من نصيب التيار اللاهوتي في مواجهة التيار المتحرر، ولكن هذا لا يعني عدم وجود فلسفات متحرر في العصور الوسطى الأوربية، إلا إنه كان تيارًا قليل من سار على نهجه مقارنة بالتيار اللاهوتي المحالف للكنيسة.

وقد تأثر "بيلاجيوس" – مؤسس الفلسفة البيلاجية – بأفكار المسيحية الشرقية، والتي كانت أقرب إلى فكره.[٣] كما تأثر بأفكار "أوريجانوس" Origen (١٨٥– ٢٥٤م)، وأخذت منه الكثير حول حرية الإرادة الإنسانية، كما أثر في كثير من فلاسفة العصور الوسطى، وخاصة "بيتر أبيلارد"Peter Abelard (1079– ١١٤٢م).

أولًا: الفلسفة البيلاجية، ومراحل تطورها في السياق اللاهوتي والفلسفي.

يجدر بنا قبل معالجة أفكار الفلسفة البيلاجية، الوقوف على حياة مؤسس هذه الفلسفة، التي تنسب لاسمه – "بيلاجيوس" – في ضوء السياقات اللاهوتية، والسياسية، والاجتماعية التي كانت سائدة، فضلًا عن التعرف على أهم تلاميذه، وكيف أسسوا "للفلسفة البيلاجية" و"الشبه بيلاجية"؟، وكذلك المراحل التي مرت بها.

١. حياة "بيلاجيوس"، وسياقات عصره.

---

(1) Annette H. M. Evans: **Augustine and Pelagius as a Cameo of the Dilemma between Original Sin and Free Will**, Scriptura 120 (2021:1), p. 2.

(٢) بي بورات: **تاريخ الروحانية المسيحية**، الجزء الأول، من زمن يسوع المسيح حتى فجر العصور الوسطى، ترجمة: تكلس نسيم سلامة، مراجعة وتحرير: محمد حسن غنيم، مكتبة دار الكلمة، القاهرة ، ٢٠١٢م، ص ١٩٣.

(3) L. W. Barnard: **Pelagius and Early Syria Christianity**, Recherches de théologie ancienne et médiévale, Peeters Publishers, Vol. 35, Juillet-Décembre 1968, p.195.

مؤسس الفلسفة البيلاجيَّة، هو الراهب الأيرلندي "بيلاجيوس"،[٤] واعتاد معاصروه وصفه بأنه بريطاني، وهناك من وصفه بأنه اسكوتلاندي من بريتون، وسافر في شبابه إلى الشرق،[٥] وكان ناسكًا مدققًا في حياته الأخلاقيَّة، وعاش في سلام وهدوء، وعزلة تامة، وكانت حياته مرتبة ومنظمة داخل أحد الأديرة.[٦]

وأُرسل "بيلاجيوس" إلى روما في أوائل ثمانينيات القرن الرابع، لدراسة القانون، والذي أثر بشكل عميق على أفكاره. وكان ذلك متزامنًا مع ثورة "مكسيموس" Maximus (٣٣٥- ٣٨٨م) في بريطانيا، وهجومه على الإمبراطور "جراتيان"Gratian (٣٥٩- ٣٨٣م)، ثمَّ تحول "بيلاجيوس" إلى الرهبنة عام (٣٨٦م)، وعلى مدار الستة عشر عامًا التالية ظل في روما، وكوَّن لنفسه قاعدة عريضة من الأتباع المؤثرين باعتباره معلمًا مخلصًا وقويًا دون أن يثير أي شكوك كَنسيَّة تجاهه.[٧] وأقام علاقات مع بعض المسيحيين، ثم توجه إلى أفريقيا، وكتب رسالة إلى المتبتلة الرومانية "ديمترياس"[*] Demetrias عام (٤١٤م)، - والتي كانت قد هربت مع عائلتها إلى أفريقيا بسبب غزو روما -، كما تقابل في فلسطين مع "بنيان" و"ميلانيا الصغرى"، وكان "بنيان" على علاقة وثيقة بـ"أوغسطين"، وفي محاولة منه للقضاء على فعالية المقاومة التي قد بدأ يواجهها، حاول "بيلاجيوس" كسب المقاومة إلى صَفهِ، غير أن "أوغسطين" أدرك مرامي "بيلاجيوس" الخفيَّة، فأرسل لهما كتابين، وهما: "**عن نعمة المسيح**"، و"**عن الخطيئة الأصلية**"، لكي يُعرفهم أن تحت المظهر الخادع لكلمات "بيلاجيوس" تقبع أكثر الهرطقات خطورة.[٨]

فقد تميز العقد الأول من القرن الخامس، الذي شهد ذروة نفوذ "بيلاجيوس" وشعبيته في روما، بأحداث سياسية هائلة أحدثت تفكيكًا للسلطة الرومانية في الغرب، حيث دخل "ألاريك" و"القوط" إيطاليا في عام (٤٠٢م)، ونهب "ألاريك" روما عام (٤١٠م)، واعترفت حكومة "هونوريوس" Honorius(384 – 423م) رسميًا بعجزها عن استعادة سلطته في بريطانيا، والتي ظلت تحت حكم الطغاة. وكان لنهب روما تأثير مباشر على الحركة البيلاجية، فقد غادر "بيلاجيوس" وأصدقاؤه المدينة، وتفرقوا في "صقلية" و"أفريقيا"، حيث ذهب "بيلاجيوس" بعد إقامة قصيرة في أفريقيا إلى فلسطين، وبقي مؤيده الرئيس "سيلسيوس" Caelestius في أفريقيا، ووقع في مشكلة مع مجلس الأساقفة الأفارقة الذي أدان أفكاره عام (٤١١م). وبدأ "أوغسطين" عام (٤١٢م) في كتابة سلسلة من الكتابات المناهضة للبيلاجيين، وكان "سيلسيوس" نشطًا في صقلية ثم في آسيا

---

(٤) رمسيس عوض: **الهرطقة في الغرب**، مؤسسة الإنتشار العربي، وسينا للنشر، بيروت، القاهرة، ١٩٩٧م، ص ص ٩٢، ٩٣.

(5) J. B. Bury: **The Origin of Pelagius**, Hermathena, Vol. 13, No. 30, Trinity College Dublin, 1904, p. 27.

(٦) أباكير عبد المسيح: **البلاجيون** (بدعة بيلاجيوس)، سلسلة البدع والهرطقات، (١٢)، ص ٩.

(7) J. N. L. Myres (1960), **Pelagius and the End of Roman Rule in Britain**, The Journal of Roman Studies, Vol. 50, Parts 1 and 2, Society for the Promotion of Roman Studies , p. 22.

(*) كتب "بيلاجيوس" هذا الخطاب إلى "ديميتريادس" عندما قررت أن تُنذر نفسها للعذرية في سن الرابعة عشر، على الرغم من أنها كانت على وشك الزواج. أنظر:

See: Peter Brown, (1967), **Augustine of Hippo**, Berkeley: University of California, p.p. 355, 356.

(٨) بي بورات: **تاريخ الروحانية المسيحية**، ص ص ١٩٤، ١٩٥.

الصغرى. وفي عام (٤١٥م) كتب "جيروم" مجادلاته ضد "بيلاجيوس" في "بيت لحم". كما أن الأفكار البيلاجية في بريطانيا كما في أماكن أخرى لم تبدأ في الانتشار إلا بعد أن تشتتَّ أتباع "بيلاجيوس" من "روما" بعد نَهبها عام (٤١٠م)، ولكن من المرجح أن هذه الأفكار كانت قد اكتسبت بعض الشعبية في "بريطانيا" بحلول السنوات الأولى من القرن الخامس.[٩] إلا أن الحركة قد استمرت تحت قيادة أتباعه في "فرنسا" و"بريطانيا"، وقام عدد من اللاهوتيين؛ ليدافعوا عن صور منها، بعضها أقل تطرفًا من عقيدة "بيلاجيوس"، والبعض الآخر أكثر تطرفًا.[١٠]

وقد أجمل "رمسيس عوض"[١١] الأفكار البيلاجية في النقاط الآتية:

❖ ترى البيلاجية أن آدم مخلوق فانٍ، وأنه كان سيموت سواء أخطأ أو لم يخطيء، في حين أن الأرثوذكسية ترى أن موت آدم جاء نتيجة سقوطه في الخطيئة.

❖ تعتقد البيلاجية أن خطيئة آدم أضرت به وحده، أما الأرثوذكسية فتؤمن بأن خطيئته انتقلت إلى كل البشر.

❖ تذهب البيلاجية إلى أن الأطفال حديثي الولادة ليسوا بحاجة إلى المعمودية في حين ترى الأرثوذكسية ضرورة تعميد الأطفال؛ لتطهيرهم من الخطيئة التي ورثوها عن آدم (عليه السلام).

❖ ترى البيلاجية أن الإنسان بإمكانه أن يتغلب على الشر الموجود فيه دون حاجة إلى نعمة الله، إذا استخدم إرادته، أما الأرثوذكسية ترى أن نعمة الله أمرًا أساسيًا لتحقيق الخلاص.

٢. تلاميذ بيلاجيوس (البيلاجيين وأنصاف البيلاجيين).

لقد كان هناك كثير من تلاميذ "بيلاجيوس"، منهم من اتفق معه في كل أفكاره التي طرحها، وأطلق عليهم اسم "البيلاجية"، وبالتالي، فقد ضمت "البيلاجية" أفكار "بيلاجيوس" نفسه وأفكار تلاميذه الذين ساروا على نهجه بشكل مخلص، وكان من أشهرهم "سيلستيوس"، و"جوليان" إسقف مدينة إكلانوم" Julian of Eclanum (٣٨٠- ٤٥٥م)، كما وجد تلاميذ لـ"بيلاجيوس" حاولوا التوفيق بين آرائه وآراء كل من: "جيروم" وأوغسطين"، وأطلق عليهم اسم "أنصاف البيلاجيين" أو "شبه البيلاجية".

- "**سيلستيوس**"

اعتقد الكثيرون من المؤرخين أن "سيلستيوس" كان تلميذًا لـ"بيلاجيوس"، وحتى في الدوائر الأكاديمية، حيث تم تطبيق صورة المعلم والتلميذ على الإثنين، وقد شكك الباحث "أوتو ويدملينجر" Otto Wermelinger (١٩٣٩- ...) في هذه التلمذة المزعومة منذ أكثر من خمسين عامًا، ولكن لم يتم التنبُه لهذا الرأي في الدراسات العلمية اللاحقة. فإن إعادة فحص كون "سيلستيوس" تلميذًا لـ"بيلاجيوس" تُظهر أن

---

(٩) J. N. L. Myres: **Pelagius and the End of Roman Rule in Britain**, p.p. 23, 24.

(١٠) جوناثان هيل: **تاريخ الفكر المسيحي**، ص ٨٣.

(١١) رمسيس عوض: **الهرطقة في الغرب**، ص ٩٤.

المصادر تفتقر إلى إثبات تلك التلمذة، حيث كان هذا الوصف لعلاقتهما تكتيكًا هرطقيًا يهدف إلى الإضرار بـ"بيلاجيوس"، حيث تم إعلان هذه التلمذة لأول مرة في مجمع "ديوسبوليس" Diospolis عام (٤١٥م)، وقد تم تبنيه لاحقًا وترويجه بشكل منهجي من قبل "أوغسطين".(١٢)

كان "سيلستيوس" قد رُسِمَّ قسيسًا في "أفسس"، ورد عليه "أوغسطين" في مقالة عن الطبيعة والنعمة.(١٣) ويبدو أن "سيلستيوس" الذي لا يُعرف الكثير عن تصريحاته، كان أكثر استعدادًا للجدال ضد "أوغسطين"، وقد طور أفكارًا كانت كامنة في أفكار "بيلاجيوس".(١٤) وحصر الباحث "أباكير عبد المسيح"(١٥) أفكار "سيلستيوس" في النقاط الآتية:

- ❖ إن خطيئة آدم أضرت به وحده، ولم تضر الجنس البشري، وأن "آدم" فانٍ، وأنه كان سيموت سواء أخطأ أو لم يخطيء.
- ❖ إن الأطفال الصغار الذين يولدون في العالم، فإنهم يولدون في الحالة الأولى التي كان عليها "آدم" (عليه السلام) قبل السقوط.
- ❖ إنه ليس بموت "آدم" (عليه السلام) أو سقوطه يموت الجنس البشري بأكمله، وليس بقيامة المسيح يقوم الجنس البشري بأكمله.
- ❖ إن الناموس كالإنجيل يؤدي إلى ملكوت السموات.
- ❖ إنه حتى مجيء الرب يسوع، كان يوجد أناس أطهار من الخطيئة.
- ❖ يمكن للإنسان أن يكون بلا خطيئة، إذا شاء هو ذلك.
- ❖ إن الأغنياء الذين قبلوا العماد لا يطمأن إليهم في عمل شيء من الخير يبدو أنهم قاموا به، إلا إذا تركوا كل ما يملكون، فدون ذلك لا يستطيعون أن يدخلوا ملكوت السموات.

أما أنصاف البيلاجيين فقد أخذوا موقفًا وسطًا بين "بيلاجيوس" وبين "جيروم و"أوغسطين"، وقد أُطلق عليهم لقب "شبه البيلاجية"، وكان من أشهرهم: "يوحنا كاسيان" John Cassian(٣٦٠– ٤٣٥م)، و"فاستوس أسقف ريجيوم"Faustus of Rhegium و"جوليان".

ترى "شبه البيلاجية" أنه من المحتمل أن يكون البشر قادرون على القيام بأعمال أخلاقيَّة صالحة من دون النعمة الإلهيَّة، وإن لم يحصلوا على الإيمان والاتحاد بالله. وعلى النقيض من البيلاجية، فإن شبه البيلاجية متوافقة مع الإدعاء بأن ذرية "آدم" (عليه السلام) ولدوا بالخطيئة الأصليَّة، وعلاوة على ذلك، تُنكر

(12) Giulio Malavasi and Anthony Dupont, (2022), **When Did Caelestius Become Known as a Disciple of Pelagius? Reassessing the Sources,** Journal of Early Christian Studies 30.3, Johns Hopkins University Press, p.343.

(١٣) أباكير عبد المسيح: **البلاجيون**، ص ٩.

(14) John Morris, (1965), **Pelagian Literature**, The Journal of Theological Studies, April, new series, Vol. 16, No. 1, Oxford University Press, April 1965, p. 44.

(١٥) أباكير عبد المسيح: **مرجع سابق**، ص ١٠.

"شبه البيلاجيَّة" أن البشر يمكنهم أن يخلصوا أنفسهم بأنفسهم، أو بوسائلهم الخاصة دون قيد أو شرط، وتزعم أن البشر يمكنهم القيام بذلك دون نعمة الله، وبالتالي، فإنها تضع قيمة عليا لحرية الإرادة، فإذا كان بوسع الإنسان أن يرتكب عملًا صالحًا، فإنه يستطيع أيضًا أن يتجنب الخطيئة.(١٦)

- **"يوحنا كاسيان".**

أما "يوحنا كاسيان" فقد قضى جزءًا كبيرًا منذ بداية حياته في أحد الأديرة، وكان صديقًا لـ"يوحنا ذهبي الفم" (347 – ٤٠٧م)، وأحد المعجبين به، وقضى سنوات في القسطنطينيَّة، ثم أُرسل إلى "روما" عام (٤٠٥م)، وقابل هناك "بيلاجيوس"، وأسس في "مارسيليا" دير للرجال وآخر للنساء، وربما صار رئيسًا لأحدهما، وكرس حياته للدراسة والتأليف لسنوات طويلة، ووضع قوانين للرهبنة. أما موقف "كاسيان" من "البيلاجيَّة"، فهو يقف موقفًا وسطًا بين الرأي الكنسي الأرثوذكسي وبين مذهب البيلاجيين. فقد رفض "كاسيان" مزاعم "بيلاجيوس"، كما رفض أيضًا آراء "أوغسطين"، ونادى ضد مذهب "بيلاجيوس" بنتيجة الخطيئة الأولى التي سقط فيها "آدم" (عليه السلام)، وأقتنع بتعاليم "أوغسطين" في النعمة هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقد عارض إنكار حرية الإرادة وقدرة الإنسان على التصرف بحرية. حيث رأى أن هناك عاملان أساسيان في تحديد الإرادة البشرية، وهما: إرادة الإنسان ذاتها ثم الروح القدس، كما رفض القول بالقضاء والقدر المسبق، ويعتبره كفرًا شنيعًا أن يظن أحد أن الله لا يريد خلاص الجميع، وقد إتبع الكثير آرائه.(١٧)

ومن تعاليم "كاسيان" أن الله عندما يرى فينا أى بادرة لإرادة صالحة، فيمنحها الخلاص، فقد قال الرسول "بولس"(١٨): «فَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ سَاكِنٌ فِيَّ، أَيْ فِي جَسَدِي، شَيْءٌ صَالِحٌ. لأَنَّ الإِرَادَةَ حَاضِرَةٌ عِنْدِي، وَأَمَّا أَنْ أَفْعَلَ الْحُسْنَى فَلَسْتُ أَجِدُ»، وذلك ليُبين أن بوادر الرغبات الصالحة تنشأ أحيانًا بفضل الطبيعة المفطورة فينا كهبة من الخالق. ومع ذلك، فإن هذه البوادر لا تبلغ الفضيلة إلا إذا كان الرب يوجهها.(١٩)

- **"فاوستوس أسقف ريجيوم".**

أما "فاوستوس"، فقد ولد في بريطانيا في أوائل القرن الرابع، وترهب بدير "ليرنيوم"، وأصبح رئيسًا له عام (٣٤٤م)، ثم أصبح أسقفًا لـ"جيوم"، وكانت له مكانة كبيرة، وذلك لقوة علمه وحياة التنسك والقداسة التي كان يحياها، وكان نصيرًا قويًا لايمان مجمع نيقية، ومناهضًا للآريوسيةArianism، وكانت إيبارشيته تحت سلطانهم، ولهذا طرد من منصبه. وقد وقفَّ "فاوستوس" موقفًا وسطًا بين "بيلاجيوس" و"أوغسطين"، حيث

(16) Parker Haratine: **The Ancestral Sin is Not Pelagian**, Journal of Analytic Theology, Vol. 11, Summer 2023, p.5.

(١٧) أباكير عبد المسيح: **البلاجيون**، ص ١٤.

(١٨) **رِسَالَةُ بُولُسَ الرَّسُولِ إِلَى أَهْلِ رُومِيَةَ**، الأصحَاحُ السَّابِعُ، (١٨).

(١٩) أباكير عبد المسيح: **مرجع سابق**، ص ١٤.

يرى أن "بيلاجيوس" هرطقي، وكان يخشى من تعاليم "أوغسطين" الذي ينكر أن يكون في مقدور الإنسان أن يكون حرًا فاعلًا، فيصبح بذلك تعليمًا بالجبريَّة والقدريَّة.(٢٠)

أما "**جوليانوس**" فكان لديه فهمًا أكثر حدة لحقائق السياسة الكنسية، وكان من أكثر المجادلين نشاطًا، وأكثرهم تطرفًا في صياغته.(٢١)

٣. المراحل التي مرت بها البيلاجية.

لقد مرَّت الفلسفة البيلاجية بأربع مراحل، الأولى، "مرحلة قرطاجنة"، والثانية، "مرحلة فلسطين"، والثالثة، "مرحلة روما"، والرابعة، "مرحلة مجامع أفريقيا وروما".

بدأت **المرحلة الأولى** من الدعوة البيلاجية تقريبًا عام (٤١١م) في قرطاجنة بشمال أفريقيا، حيث وصل "بيلاجيوس" ومريده "سيلستيوس" هَربًا من اضطهاد الملك القوطي "ألاريك" لهما في روما. وهناك رغبا في الذهاب لمدينة "هيبو" لزيارة "أوغسطين"، فاكتشفا أنه غادرها، وسافر إلى قرطاجنة بهدف التصدي للدوناتيَّة Donatism، وطلب "سيلستيوس" من الأكليروس في قرطاجنة أن ينصبوه كاهنًا، إلا أنهم رفضوا بسبب آرائه المتطرفة والخارجة عن الدين، الأمر الذي اضطره إلى النزوح شرقًا إلى "فلسطين".(٢٢)

أما **المرحلة الثانية** من الدعوة البيلاجية، فتبدأ بوصول "بيلاجيوس" إلى "فلسطين"، حيث أثارت أفكاره "جيروم"، والذي كان يشارك كلٍ من: "أمبروز" و"أوغسطين" إيمانهما بفكرة الخطيئة الأولى. وبدأ "جيروم" حياته كواحد من أشد المعجبين بأفكار "أوريجانوس"، غير أنه ما لبث وأن انصرف عنها؛ ليصبح عدوًا لدودًا لها، الأمر الذي زاده سخطًا على "بيلاجيوس" معتبرًا تمجيده للإرادة الإنسانية وحرية الاختيار امتدادًا لفلسفة كل من: "أوريجانوس" و"روفينوس"Rufinus (410–345م)، وأثرًا من آثارهما. وقد سعى "جيروم" حتى نجح عام (٤١٥م) في عرض هرطقة "بيلاجيوس" على "مجمع" عقد في أورشليم. فتقدم الكاهن الأسباني "بول أوروزيوس"(*) Paul Orosius بشهادة ضد المذهب البيلاجي ذكر فيها كل التفاصيل الخاصة بإدانة "أوغسطين" لـ"سيلستيوس" في "مجمع" قرطاجنة. وكان "يوحنا" رئيس ذلك "المجمع" يتحدث اللغة اليونانية، وأن "أوروزيوس" لا يعرف غير اللاتينية، وأن المترجم الذي تولى أعمال الترجمة أثناء المحاكمة ارتكب أخطاء كان من السهل على المتهم "بيلاجيوس" – الذي أتقن اللغتين اليونانية واللاتينية – أن يكتشفها؛ ولهذا امتنع "المجمع" عن اتخاذ قرار بشأن أفكار "بيلاجيوس"، وأحال الموضوع إلى "إينوسنت الأول" Innocent I أسقف روما للبت فيها باعتبار أن المدعي والمدعى عليه ينتسبان إلى الكنيسة الغربية. ثم انعقد في فلسطين

---

(٢٠) أباكير عبد المسيح: **البلاجيون**، ص ١٥.

(21) John Morris: **Pelagian Literature**, p. 44.

(٢٢) رمسيس عوض: **الهرطقة في الغرب**، ص ٩٤.

(*) هو مؤرخ أسباني ألف كتاب بعنوان «سبعة كتب تاريخية ضدّ الوثنية» بطلب من القديس أوغسطين، وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية في البلاط الأموي بقرطبة. أنظر: أبو عبيد البكري: **المسالك والممالك**، الجزء الأول، دار الغرب الإسلامي، (د. م)، ١٩٩٢م، ص ١٩.

"مجمع" آخر في نهاية عام (٤١٥م) لإعادة محاكمة "بيلاجيوس" الذي لجأ هذه المرة إلى التحفظ في عرض أفكاره الأمر الذي دعا هذا المجمع الثاني إلى تبرئته من تهمة الهرطقة. فقد ذهب "بيلاجيوس" إلى أنه لا ينكر دور النعمة الإلهية في هداية الإنسان وصلاحه. بل يعتبرها عاملًا مساعدًا يحرك القوى الكامنة في الإنسان. وأمام هذه الأقوال المعتدلة امتنع المجمع عن إدانته، وقرر أن آراءه لا غبار عليها، وأمر بإعادته إلى حظيرة الكنيسة التي طردته دون وجه حق من صفوفها.[٢٣]

أما **المرحلة الثالثة**، فتتمثل في أنه لم يقف أعداء "بيلاجيوس" مكتوفي الأيدي أمام انتصاره عليهم، فقد استمر "أوغسطين" وأساقفة شمال أفريقيا في الهجوم عليه، ومارسوا ضغوطهم حتى نجحوا في عقد مجمعين أحدهما في "قرطاجنة" والآخر في "ميليوم" عام (٤١٦م)، وأصدر قرارًا بإدانة كل من: "بيلاجيوس" و"سيلستيوس" رفعاه إلى أسقف روما "إينوسنت الأول"؛ لإتخاذ ما يراه مناسبًا، فوافق على قرار الإدانة، وقام باعتماده، إلا أن الأسقف "إينسونت الأول" حلَّ محله أسقف آخر لروما هو "زوسيموس" Zosimus (ت ٤١٨م) الذي لم يجد في المتهمين أية سبب لإدانتهما. واستطاع كل من: "بيلاجيوس" و"سيلستيوس" أن يستميلا "زوزيموس" إليهما، وأخذ "بيلاجيوس" يشرح إيمانه: إننا نعترف أن لنا حرية إرادة الخطيئة، كما أخطأ الذين قالوا أن الإنسان لا يمكنه أن يخطيء ويمكنه أيضًا أن يتجنب الخطيئة. وعندما وقف "زوسيموس" على حقيقة أفكارهما، ورأى أن إيمانهما صحيح، فكتب عام (٤١٧م) رسالة إلى أساقفة أفريقيا يلومهم فيها؛ لتسرعهم في إدانة "بيلاجيوس" و"سيلستيوس"، ووصف خصومهما أنهم مفترون وأشرار. ورغم أن البيلاجية لم تكن مذهبًا شائعًا، فإنها وجدت بعضًا من غلاة المتحمسين لها بين الرهبان والنساك والعامة في فلسطين، وفي عام (٤١٦م) اجتمع بعض منهم وداهموا الدير الذي يعيش فيه "جيروم"، وأشعلوا فيه النيران، واعتدوا على الرهبان المقيمين فيه، الأمر الذي اضطر "جيروم" إلى الفرار.[٢٤] وقد عبَّر "جيروم" عن ذلك بقوله: "على أثر مجمع "ديوسبولس" Diospolis هلَلَّ البيلاجيين للنجاح الذي حققوه، فهاجموا أديار هيرونيمس (جيروم) في بيت لحم، وعملوا فيها نهبًا وإحراقًا، ما أكسبه عطف البابا إنوسنت".[٢٥]

وقد شهدت **المرحلة الرابعة** من الدعوة البيلاجية إدانة نهائيَّة لها، فلم يصمت أساقفة شمال أفريقيا على عدم مساندة "زوسيموس" أسقف روما لهم، وسارعوا إلى عقد مجمع في "قرطاجنة" نهاية عام (٤١٧م) للاحتجاج على تبرئة "بيلاجيوس" و"سيلستيوس". وأمام احتجاجهم لم يجد "زوسيموس" مفرًا من إعادة النظر في هذا الموضوع الذي أحاله إلى أساقفة أفريقيا للمزيد من الدراسة.[٢٦] وفي النهاية عُقد مجمع كبير في "أفسس" عام (٤٣١م) حضره "كيرلس الإسكندري" كمندوب له، وحضره مائتا أسقف للتداول بشأن الاتهامات

---

(٢٣) رمسيس عوض: **الهرطقة في الغرب**، ص ص ٩٤، ٩٥.

(٢٤) المرجع نفسه، ص ٩٥.

(٢٥) هيرونيمس: **رسائل هيرونيمس**، التراث الروحي، الجزء الثاني، (٦٨ – ١٥٠)، أعدها وقدم لها ووضع حواشيها سعد الله سميح جحا، دار المشرق، بيروت، ٢٠٠٨م، ص ٨٢٢.

(٢٦) رمسيس عوض: **مرجع سابق**، ص ٩٦.

الموجهة إلى تعاليم "بيلاجيوس" وأتباعه.[٢٧] وقد أصدر المجمع منشورًا بإدانة البيلاجية وقعته الغالبية العظمى من الأساقفة المجتمعين دون أن يعترض عليه سوى ثمانية عشر أسقفًا من "روما"، وقد تم تجريد هؤلاء الأساقفة من ممتلكاتهم ووظائفهم الكنسيَّة. وحكم على "بيلاجيوس" بالحرمان الكنسي، وإعلان بطلان الدعوة "البيلاجية".[٢٨] وأتُهم في النهاية بأنه هرطقي، وطُرد من الكنيسة الكاثوليكية.[٢٩] وقد أصدر المجمع تسعة قوانين ضد تعاليم "بيلاجيوس"، وهي:[٣٠]

❖ من قال بأن آدم الإنسان الأول قد خلق قابلًا للموت سواء أخطأ أو لم يخطئ، وأنه كان سيموت بأسباب طبيعية لا بسبب الخطيئة فليكن محرومًا.

❖ من قال إن الأطفال لا يحتاجون إلى معمودية، وليست هناك خطيئة أصلية فليكن محرومًا.

❖ من قال إن في ملكوت السموات موضعًا متوسطًا يحيا فيه الأطفال أسعداء غير العمديين يكون محرومًا.

❖ من قال إن نعمة الله لا تفيد إلا في غفران الخطيئة فليكن محرومًا.

❖ من قال إن النعمة تعيننا فقط لكي نتجنب الخطيئة، ولا تمنحنا اللذة على فعل الخير، ولا قوة لها على فعله فليكن محروما.

❖ من قال إن كلمات الرسول "يوحنا"[٣١] : «لَمْ يَكُنْ هُوَ النُّورَ، بَلْ لِيَشْهَدَ لِلنُّورِ»، يجب أن تؤخذ بمعنى أنه يجب أن تقول أننا خطاة عن اتضاع، وليس ذلك حقيقي فليكن محرومًا.

❖ من قال إن القديسين إذا يرددون في الصلاة الربية القول "أغفر لنا ما علينا" لا يقولون ذلك على أنفسهم لأن هذه الصلاة ليست ضرورية يكون محرومًا.

❖ من قال إن القديسيين يقولون منه الكلمات عن اتضاع لا لأنها حقيقة ليكن محرومًا.

❖ من قال إن نعمة التبرير أعطيت ولكن بدونها يمكننا أن نتم. ليكن محرومًا.

وأستقبل القديس "نسطور"Nestorius (٣٨٦- ٤٥١م) بطريرك القسطنطينية كل من: "جوليان" و"سيلستيوس" عام (٤٢٩م)، وأكرمهما، وعبَّر عن تعاطفه مع آرائهما، ورغم انحدار "البيلاجيَّة"، فقد ظهر نوع جديد منها أشد خطرًا على العقيدة الأرثوذكسية تزعمه كل من: "يوحنا كاسيان" و"فاوستوس" اللذان نبذا مغالاة "أوغسطين" في إنكاره الكامل لأهمية إرادة البشر في إصلاح ما بأنفسهم، ومغالاة "بيلاجيوس" في إنكار أهمية النعمة الإلهية في هدايتهم. وكان من الممكن ألا تُسبب الأفكار البيلاجية إزعاجًا للفكر الكنسي التقليدي، وألا تقابل بالقمع والاضهاد لولا عُنف وقسوة "سيلستيوس" في الدفاع عن الأفكار "البيلاجيَّة"، والعمل

(27) Sylvain Bergeron: **Arianism and Pelagianism: Two Great Heresies of the Fourth and Fifth Centuries**, Journal of History and Future, Volume 8, Issue 4, December 2022, p. 1177.

(٢٨) رمسيس عوض، **الهرطقة في الغرب** ، ص ٩٦.

(29) Sylvain Bergeron: Op. Cit., p. 1177.

(٣٠) أباكير عبد المسيح: **البلاجيون**، ص ١١.

(٣١) **إِنْجِيلُ يُوحَنَّا**: الأصحَاحُ الأَوَّلُ، (٨).

على نشرها وذيوعها، وبهذا، كان "سلستيوس" وليس "بيلاجيوس" وراء نشوب النزاع البيلاجي، ولولا احتضان "نسطور" لها، وتقديمه الحماية لهما عندما التجأ إليه في أسقفيته، لم يحدث هذا الجدال البيلاجي.[٣٢]

ومن الجدير بالذكر أن كلمة "الهرطقة" في المجتمع الروماني كانت تعني آنذاك "الاختيار الحر"، ولا يمكن أن يكون هناك تسامح مع الزنادقة في الكنيسة ولا في الدولة التي أُسست في أوائل القرن الخامس، ولم يكن هناك مكان في المجتمع الروماني المتأخر لممارسة حرية الاختيار، كما نص على ذلك مرسوم عام (٤١٥) في سياق خالٍ تمامًا من الدلالات اللاهوتية: "لا يجوز السماح بحرية الاختيار إلا من خلال استخدام سلاحنا الرحيم". وقد تم الإعلان بضرورة قمع الحزب البيلاجي بالقوة وفقًا لمرسوم (٤١٨)، وأنه من المقرر القضاء عليه باعتباره حزبًا هرطقيًّا.[٣٣]

ونتفق مع "كريج كلير" Craig Clair في قوله: "إن رغبتي الحقيقية هو ترك "بيلاجيوس" وتعاليمه يتحدثان عن نفسيهما، وأن أستحضر "أوغسطين" فقط للتناقض مع "بيلاجيوس"، ومع ذلك، فمن المفارقات أنه لم يكن هناك جدال بين "بيلاجيوس" لولا استمرار "أوغسطين" في الضغط على "بيلاجيوس"، وبالتالي، فإن بعض التوضيحات لنقد "أوغسطين" لـ"بيلاجيوس" ستكون ضرورية"،[٣٤] والأمر بالمثل بالنسبة لـ"جيروم" تجاه القضايا التي أثارها "بيلاجيوس"، والتي من أهمها: دعوته لحريَّة الإرادة، ونقده لوراثة الخطيئة الأصليَّة، ودعوته لخيريَّة الطبيعة الإنسانيَّة، وتَأويله لمفهوم النعمة.

ثانيًا: حرية الإرادة الإنسانيَّة عند بيلاجيوس.

تعد إشكالية حرية الإرادة الإنسانيَّة واحدة من الإشكاليات الفلسفيَّة واللاهوتيَّة التي اهتم بالدفاع عنها "بيلاجيوس"، والدعوة لها وممارستها من قبل الجميع، وهو ما يمثل في حقيقة الأمر ثورة على الحتميَّة اللاهوتية التي كانت سائدة آنذاك، وثورة في الأنثروبولوجيا المسيحية؛ ليصبح الإنسان سيدًا لقراره، والمتحكم الأول والأخير في أفعاله وممارساته؛ ليستطيع بذلك تحقيق الخلاص ذاتيًّا بدلًا من طلبه من الكنيسة التي كانت آنذاك هي التي تمنح الخلاص للبشر، وهو ما جعل كثير من اللاهوتيين يهاجمون دعوته لحرية الإرادة، وكان من أبرزهم "جيروم" و"أوغسطين".

١. دعوة بيلاجيوس لحرية الإرادة الإنسانية.

إن الذي أشعل فتيل البيلاجية، وحفز "بيلاجيوس" إلى الدعوة إلى حرية الإرادة هو عبارة أوردها "أوغسطين" في كتابه "الاعترافات" استفزته بسلبيتها المطلقة، وتسليمه الكامل للمشيئة الإلهية. حيث يبدأ

---

(٣٢) رمسيس عوض: **الهرطقة في الغرب**، ص ص ٩٣، ٩٦. وأنظر أيضًا: أباكير عبد المسيح: **البلاجيون**، ص ٩.

(33) N. L. Myres: **Pelagius and the End of Roman Rule in Britain**, p. 29.

(34) Craig Clair, **A Heretic Reconsidered Pelagius, Augustine, and "Original Sin",** School of Theology and Seminary Graduate Papers/Theses 4, p. 2.

"أوغسطين"[٣٥] صلاته المستسلمة تمامًا لإرادة الله، بقوله: "**هب ما أمرت به، وأمر بما يوافق مشيئتك**"، والتي رأى فيها "بيلاجيوس" إلغاءً للإرادة الإنسانية؛ فدعا إلى ضرورة أن يغير الناس ما بأنفسهم دون الاعتماد على قوة إلهية خارجية عنهم.[٣٦] وكان هذا أول اتصال بين "بيلاجيوس" و"أوغسطين" عام (٤٥٥م)، وتكشف هذه الحادثة عن معارضة "بيلاجيوس" لأي شكل من أشكال الحتمية التي تقوض إرادة الإنسان.[٣٧]

وقد أعلن "بيلاجيوس" عن رؤيته في حرية الإرادة الإنسانية، بقوله: "لكي تبرز هذه الحقيقة الجوهرية (الإرادة الحرة) بشكل أكثر وضوحًا، لا بد من أن نَذكر بعض الأمثلة. فقد طُرِدَ آدم من الجنة، ...، ويُظهر الرب حرية الاختيار في قراره،... ، لأنه كما كان من أخطأ يستطيع أن يُرضي الرب، ....، وهكذا يجب أن نفهم مسألة "قابيل" و"هابيل"، وأيضًا قضية "يعقوب" و"عيسى"، ...، وعلينا أن ندرك أنه عندما تختلف المزايا في الطبيعة ذاتها، فإن الإرادة هي السبب الوحيد للفعل. ....، وحقيقة أن هؤلاء البشر ("نوح" و"لوط") الأوائل لم يوبخهم القانون طوال سنوات عديدة، فإنه يُعطينا حجة للاعتراف بخيرية طبيعتهم، ليس لأن الله لا يهتم في أي وقت بمخلوقاته، بل؛ لأنه يعرف أنه خلق الطبيعة البشرية بحيث تكفيهم بدلاً من الشريعة لممارسة البر. فطالما أن الطبيعة لا تزال نقيَّة رغم الاستخدام الطويل للخطيئة، والتي لم تستطع رسم حجابًا مظلمًا، ...، فقد تحررت الطبيعة وتُرِكَت دون قانون؛ ولكن عندما أصبحت الآن مدفونة تحت فائض من الرذائل، وملوثة بصدأ الجهل، أنزل الرب عليها الشريعة، ...، فتمكنت من استعادة سابق عهدها".[٣٨]

وهنا يوضح "بيلاجيوس" أن الأنبياء والرسل بحكم طبيعتهم الخيرة وامتلاكهم لحرية إرادتهم استطاعوا أن يكونوا في طاعة الله، على الرغم من السياقات التي عاشوا فيها، والتي كانت مليئة بالخطايا والمعاصي، إلا أنهم إستطاعوا أن يتحرروا من كل ذلك بفضل خيرية طبيعتهم من ناحية، وإرادتهم الحرة من ناحية أخرى، وحرية الإرادة لا تقف فحسب عند الأنبياء والرسل، بل جميع البشر لديهم من الإرادة الحرة ما تكفيهم لممارسة أعمالهم برية كافية.

كما أكد "بيلاجيوس" على حرية الإرادة في رسالته "اعتراف الإيمان" Confession of Faithالتي أرسلها إلى البابا "إينوسنت الأول" بقوله: "**إننا نملك الإرادة الحرة، حتى لا نقول إننا نحتاج دائمًا إلى معونة الله؛ وأنهم مخطئون في القول بأن الإنسان لا يستطيع تجنب الخطيئة، والذين يؤكدون أن الإنسان لا يستطيع أن يخطئ؛ فكلاهما يسلب حرية الإرادة، لكننا نقول أن الإنسان يكون دائمًا في حالة قد يخطئ أو لا**

([٣٥]) راجع: قول أوغسطين: "هب لي يا رب ان اعرف كيف ابدأ وادرك؛ أأدعوك أولًا ثم أسبحك؟ أم أعرفك فأدعوك". أوغسطين: **الإعترافات**، التراث الروحي، نقلها إلى العربية الخوري يوحنا الحلو، الطبعة الرابعة، دار المشرق، بيروت، ١٩٩١م، ص ٧.

([٣٦]) رمسيس عوض، **الهرطقة في الغرب**، ص ٩٣.

([37]) Craig Clair, **A Heretic Reconsidered Pelagius, Augustine, and "Original Sin"**, p.p. 3, 7.

([38]) Pelagius: **A letter from Pelagius to Demetrias**, The Early Church Texts, CAP. 8, Fr. 1, Fr. 2. *https://earlychurchtexts.com/public/pelagius_letter_and_confession_to_innocent.htm*

يخطئ، حتى نعترف بأننا دائمًا ذو إرادة حرة".[٣٩] ويتابع "بيلاجيوس" دفاعه عن حرية الإرادة، ويرى أن بمقدورها أن تُجنب الإنسان ارتكاب الخطايا، فالإنسان دائمًا في حالة حياد في قراراته، وبفضل الإرادة الحرة، فإنها تجعله يرتكب الخطايا أن تجنبه إرتكابها، وبهذا فإن إرادة الإنسان هي بمثابة معيار الفعل الذي من خلاله نحكم عليه بأنه إما خير أو شرير.

كما آمن "بيلاجيوس" بقوة الإنسان، ورأى أنه متى كان حرًا، فإن بمقدوره أن يعمل الصلاح دون معونة الله، ولكي يكون صالحًا؛ يكفيه أن ينوي ذلك، ويجتهد في تحقيقه، لأن إرادتنا قادرة على عمل الخير، وأن اللجوء إلى نعمة الله طلبًا لمعونته بسبب عجزنا المزعوم، فإن هذا يعد جُبنًّا. وإذا كان الصلاح يعتمد تمامًا على إرادتنا الحرة، فلابد أن يكون الاستحقاق والمجازاة من الأمور التي من صميم عملنا أيضًا، ولا يكون لله صلة بهذا، وهو عندما يكافيء أعمالنا، فهو لا يكافيء مواهبه، بل يكافئ أعمالنا نحن فحسب، أي أنه يكافئ عملًا قمنا نحن به بأنفسنا.[٤٠] ويستنج "بيلاجيوس" أن الاستحقاق والمجازاة في الأخرة يقومان على حرية الإرادة، وإلا كيف يحاسب الله البشر على أفعال ارتكبوها دون إرادتهم؟!

ويقول "بيلاجيوس" :"إن الرسول وهو يُعلِم أن الله لا يأمر بشيء مستحيل، ...، فلماذا إذن ننغمس في مراوغات لا طائل من ورائها، ونقدم ضعف طبيعتنا اعتراضًا على من يأمرنا؟ فلا أحد يعرف المقياس الحقيقي لقوتنا أفضل من الذي أعطانا إياه، ولا أحد يفهم مدى قدرتنا على القيام بأي فعل أفضل من الذي أعطانا هذه القدرة؛ والله لا يأمر بشيء مستحيل، ولا يدين إنسان لأنه فعل ما لا يستطيع تجنبه".[٤١]

ويرى "بيلاجيوس" أن الخطيئة الفرديَّة هي إمكانيَّة لممارسة الحريَّة والمسئوليَّة الفرديَّة، وأن الحياديَّة تتجسد في قدرة الإنسان على الخير والشر، وربط الخطيئة بالاختيار. وذلك، لإقامة تجربة أخلاقيَّة ومنطقيَّة ووجوديَّة تنطوي على ممارسة الإرادة الحرة. فلا تحافظ الإرادة الإلهية على أي إتجاه، سواء الخطأ أو الصواب، ولا تملك أي نوع من الميل المرتبط بالإنسان، فكل فرد يملك منذ ولادته ممارسة حريته، والقدرة على اتخاذ القرار بشأن مصيره سواء أكان ذلك في الخير أو الشر.[٤٢] وكون "بيلاجيوس" يدعوا إلى حيادية الفعل، والإرادة هي التي تحدد مساره، فإنه بهذا حرر الإنسان من التبعية اللاهوتية واللسياسية على حد سواء.

ومن ناحية أخرى، يذكر "بيلاجيوس" في تعليقه على "رسالة الرسول بولس إلى أهل رومية" قائلًا: "يُمكِنَ الإيمان أولئك الذين يدينهم القانون، فمن خلال الإيمان نهرب من قيود الطبيعة الساقطة، ونعمل على الكمال على غرار القديسين".[٤٣] ولكن هل هذا يعني أن الإنسان ليس في حاجة إلى الإيمان طالما أن إرادته هي

---

(39) Pelagius: **A letter from Pelagius to Demetrias**, CAP. 25.

(٤٠) بي بورات: **تاريخ الروحانية المسيحية**، ص ١٩٥.

(41) Pelagius: Op. Cit., CAP. 15.

(42) Luiz Carlos Mariano Da Rosa: **On sin as a rational symbol between Pelagius and Augustine, according to Paul Ricoeur: on will as the locus of freedom and responsibility**, Cuadernos de Teología, UCN - Universidad Católica del Norte (Chile), vol. 15, núm.1, 2023, pp. 1, 5.

(43) Pelagius: **Commentary on the Epistle to the Roman**, CAP, 3, p. 88.

التي تحدد مساره في حياته بأكملها؟ بالطبع لا، فقد صرح "بيلاجيوس" ضرورة الإيمان لأولئك الذين يدينهم القانون الوضعي وكذلك الأخلاقي، حيث يمكنهم من جعل هؤلاء الأشرار بمثابة قديسيين، يضرب بهم المثل في الكمال الأخلاقي.

لهذا، فإن الله هو الذى منح الإنسان القدرة على الإرادة والعمل، وأن الإنسان يملك قوى ومواهب طبيعية منحه الله إياها كافية بذاتها، ودون حاجة إلى النعمة أو قوى تأتيه من الخارج ليبلغ بها إلى الكمال الذي يطلبه الله منه، وأن حرية الإرادة واستخدام الإنسان لقواه ومواهبة الطبيعية هو الذى يحدد مدى مسؤليته فى استسلامه لاغراءات الخطيئة أو انتصاره.(٤٤) وبالتالي، إن تحقيق الخلاص، فيما يرى "بيلاجيوس"، يوجد داخل البشرية، ويمكن للبشر أن ينقذوا أنفسهم، وأعمالهم هي التي تحقق خلاصهم، وأن البشر يمتلكون إرادة حرة حقيقية قادرة على أن تخطيء أو لا تخطيء، وسواء ارتكب الإنسان خطيئة أم لا، فإننا مازلنا نمتلك إرادة حرة، وأن النعمة ليست عملًا خاصًا لله، بل هي "نعمة طبيعية". وآمن "بيلاجيوس" بـ"نعمة الوحي"، والتي من خلالها يَظهر الله للبشر كيفية العيش؛ لتنير عقولهم حتى يتمكنوا من رؤية إرادة الله، والتي يتم الكشف عنها من خلال شريعته. كما أكد لأولئك الذين يفعلون الصواب أنهم قادرون على تحقيق الخلاص، ونعمة الله تتجسد فحسب في مساعدة الإنسان لتحقيق هذا الخلاص. فإن الله يشير فحسب إلى ما يجب القيام به لتحقيق الخلاص ثم يترك الرجال والنساء لتلبية هذه الشروط دون مساعدة.(٤٥)

إن كل العقول والإرادات عند "بيلاجيوس" منظمة تحت إشراف الله، الذي هو العقل والإرادة الأوَّلَيّن، ولكن إذا كانت الاختبارات الحرة تقع بالفعل خارج نطاق المعرفة السببية لله، فإن الله لا يخلقها، وإذا كانت الإختيارات الحرة موجودة، ولم يخلقها الله، فإن الله لا يخلق حقًا من العدم مجموع كل الأشياء في علاقتها المعقولة. إن القصد الإلهي لا يجانب الصواب في أولئك الذين يخطئون، ولا في أولئك الذين يخلصون؛ لأن الله يعرف مسبقًا نهاية كليهما، فيخلص هؤلاء من خلال خيريته، ويعاقب أولئك بفعل عدالته.(٤٦)

وأكد "بيلاجيوس" على الإرادة الحرة للمرأة وكرامتها، وكان هذا مختلفًا عن التقييمات السلبية لإرادة المرأة من قبل "جيروم" و"أوغسطين" واللاهوتيين الغربيين اللاحقين، ولكن وجهة نظره كانت مشابهة تمامًا لوجهات النظر الإيجابية لحرية المرأة من قبل آباء الكنيسة الشرقية مثل "يوحنا ذهبي الفم"، وكان "بيلاجيوس" واحدًا من الذين استمروا في الدعوة إلى استقلال المرأة المسيحية.(٤٧)

---

(٤٤) أباكير عبد المسيح: **البلاجيون**، ص ١٣.

(45) Juuinner Kasingku: **Augustine and Pelagius view on Salvation: Salvation by Grace or Works,** Klabat Theological Review, Vol. 2, No.1, August 2021, p.p. 86, 58.

(46) Roberto J. De La Noval: **Pelagianism Redivivus: The Free Will Theodicy for Hell**, Divine Transcendence, and the End of Classical Theism, Modern Theology Month, John Wiley & Sons Ltd., 2023, pp. 9, 14.

(47) Nozomu Yamada: **Pelagius View of Ideal Christian Women in his Letters, Critical Perspectives of Recent Pelagian Studies Comparing Chrysostom's View in his Letter to Olympias**, Journal of Patrology and Critical Hagiography, Scrinium (16), 2020, p.p. 67, 68.

وتجدر الإشارة إلى أن "بيلاجيوس" لا يجعل الله بعيدًا عن مخلوقاته، بل العكس، فالله وفقًا لتصوره خلق الإنسان، وخلق فيه عقل وإرادة، فالعقل يصدر الأوامر التي يقتنع بها وتنفذها الإرادة بكل حرية، وبهذا يكون مسئولًا مسئولية كاملة عن أفعاله ويجازى عليها، كما خلق فيه العقل الذي يستطيع دائمًا أن ينير له ماهية الأفعال التي يقوم بها.

ويؤكد "بيلاجيوس" في رسالته "**خطاب إلى ديميتريا**" على أهمية الدور الذي تلعبه الإرادة البشرية في تمكين الأفراد للإختيار، وأداء الأفعال الصحيحة، والفوز بالخلاص؛ لأن البشر لديهم نوع من القداسة؛ ولأننا لسنا مشبعين بالخطيئة، بل خُلقنا أحرارًا في اختيار الخير والشر.[٤٨] وقد ردَّ "أوغسطين" على "بيلاجيوس"، فيما يرى الباحث "نوزوميو يامادا" Nozomu Yamada، بأنه كان لدى ديميتريا خيار، لكنها لا تستطيع اتخاذ الاختيار الصحيح إلا من خلال هبة الله. فنعمة الله تحدد الإرادة؛ لأنها مستعبدة، وعند اتخاذ خيارات لا يمكنها أن تكون خيارات جاهلة وضارة، فالاختيار الخاطيء ليس اختيارًا حرًا حقيقيًا في فكر "أوغسطين".[٤٩]

وبهذا، فقد دعى "بيلاجيوس" إلى أنه يجب على المسيحيين قبل كل شيء أن يحاولوا أن يعيشوا بطريقة صحيحة. والأمر متروك لهم لاستخدام إرادتهم الحرة بشكل صحيح،[٥٠] وأن الخلاص يأتي من خلال الأعمال والأفعال، وحاول بقصارى جهده نقد المفهوم الذي يقرر أن الخلاص يتحقق من الله فحسب.[٥١]

ويتضح مما سبق أن هذه الآراء الجريئة كانت غريبة عن السياق الذي عاش فيه "بيلاجيوس"، فشن عليه عديد من اللاهوتيين هجومًا عنيفًا، وكان من أبرزهم "جيروم" و"أوغسطين"، وأخذا في مهاجمته، ورفضا حرية الإرادة الإنسانية، وأقرًا بالجبرية والقدرية الإلهية، وأن الله هو المتحكم الأول والأخير في كافة المخلوقات بما فيهم من أفعال إنسانية.

٢. هجوم اللاهوتيين على حرية الإرادة عند بيلاجيوس.

إن تاريخ الهجوم على البيلاجية هو في الواقع تاريخ للهجوم على تداعيات عقيدة "أوريجانوس" في المسؤولية الإنسانية، وقد أحدث هذا الهجوم نقطة تحول في تطور الكنيسة الغربية. وبفضل "جيروم" و"أوغسطين"، اكتشف الغرب فلسفة لم تكن موجودة في الشرق لكنها غيرت وجه المسيحية في الغرب، وقد نشأت هذه الفلسفة في المقام الأول بسبب الطريقة التي ربط بها البيلاجيون عقيدة "أوريجانوس" في الإرادة الحرة بقضايا العدالة الاجتماعية وإصلاح الكنيسة.[٥٢] ووفقًا لهذا كان هجوم "جيروم" و"أوغسطين" هجومًا على "بيلاجيوس"، والذي تبنى أفكار "أوريجانوس" في الإرادة الحرة للإنسان.

([48]) Annette H.M. Evans: **Augustine and Pelagius as a Cameo of the Dilemma between Original Sin and Free** Will, p. 6.

([49]) Nozomu Yamada: Op. Cit., p. 70.

([٥٠]) جوناثان هيل: **تاريخ الفكر المسيحي**، ترجمة: سليم اسكندر ومايكل رأفت، مكتبة دار الكلمة، القاهرة، ٢٠١٢م، ص ٨٣.

([51]) Juuinner Kasingku: **Augustine and Pelagius view on Salvation: Salvation by Grace or Works**, p. 57.

([52]) Gerald Bostock: **The Influence of Origen on Pelagius and Western Monasticism**, Origeniana Septima, Proceedings of the seventh Origen Conference Hofgeismar 25 - 29 August 1997, p p. 1, 2.

- **هجوم "جيروم" على "بيلاجيوس" في حرية الإرادة.**

لقد أثار موقف "بيلاجيوس" بشأن الإرادة الحرة، وإمكانية الخلو من الخطيئة، إنتباه "جيروم"،[٥٣] وقال "جيروم" مخاطبًا "بيلاجيوس": "**أتريدني أن اسمي لك بعدًا واحدًا من معليميك في الهرطقة، إنه "أوريجانوس"، وما هرطقتك سوى تتمة لهرطقته**".[٥٤] فقد رأى "جيروم" أن "بيلاجيوس" قد تأثر بكثير من الأفكار التي قال بها "أوريجانوس"، وخاصة تجاة حرية الإرادة الإنسانية، وأن هرطقة "أوريجانوس" قد تجسدت مره أخرى في أفكار "بيلاجيوس".

فقد سبق واهتم "أوريجانوس" بقضية حرية الإرادة الإنسانية، وأفرد لها المقالة السادسة، والتي بعنوان "حرية الاختيار"، في الكتاب الثالث من مؤلفه "**في المبادي**"[٥٥]، وقد اعتمد "أوريجانوس" فيما طرحه على الأدلة العقلية التي تدعم وتثبت حرية الإرادة الإنسانية من ناحية، وكذلك اعتمد على نصوص من العهدين القديم والجديد التي تثبت كذلك حرية الإرادة، كما قام بتأويل النصوص التي تدعو إلى القدرية والجبرية التي وردت في العهدين القديم والجديد.

لقد صاغ "أوريجانوس" لاهوتًا يقوم على الاستقلالية البشرية والمسؤولية؛ لأن وصية السعي إلى الكمال مثل جميع الوصايا الأخلاقية المنصوص عليها في الكتاب المقدس، لابد وأن تفترض عقيدة الإرادة الحرة، وأكد "أوريجانوس" أنه يمكن إيجاد نصوص كثيرة في الكتاب المقدس تُظهر بوضوح التمتع بالإرادة الحرة، وسيكون من التناقض أن نتلقى وصايا، دون أن تكون لدينا إرادة حرة لتنفيذها. وقد استلهم "بيلاجيوس" هذا الرأي عندما قال: "**ما كان الله ليأمر بشيء مستحيل على الإطلاق**"، كما ظهر أيضًا في دفاعه عن الإرادة الحرة عندما قال: "**إن الكتب المقدسة في كل مكان تتهم الخطاة باستخدام إرادتهم الخاصة، وأن كتب العهدين القديم والجديد مليئة بالأدلة من هذا النوع.**" وقد أثار هذا الاعتقاد الذي صاغه "أوريجانوس" استجابة سريعة من "بيلاجيوس"، والذي نُظرَّ إليه باعتباره مصلحًا أخلاقيًا داخل التقاليد الرهبانية، ولكنه أثار الجدل بسبب تداعياته الجذرية، وأصبح هذا الاعتقاد موضوعًا لمناظرات "بيلاجيوس" مع "جيروم".[٥٦]

كما أن الاتهامات التي وجهتها البيلاجية للمانوية، والتي تهدف إلى تعزيز الكمال الأخلاقي والروحي، تتضمن عقيدة جذرية للإرادة الحرة، مؤكدة على أن حرية الخطيئة هي جوهر الفضيلة؛ حيث رأى "بيلاجيوس" أنه لن تكون هناك فضيلة في الخير الذي يقوم به الإنسان إذا لم يتمكن من العبور إلى طريق الشر، وهذا هو نفسه رأي "أوريجانوس"، كما اقتبس "بيلاجيوس" المثل القائل "لقد منح الله البشر إرادة حرة حتى يصبحوا

(53) Annette H.M. Evans: **Augustine and Pelagius as a Cameo of the Dilemma between Original Sin and Free Will**, p. 6.

(٥٤) هيرونيمس: **رسائل هيرونيمس**، ص ٨٠٦.

(٥٥) لمزيد من التفاصيل، أنظر: أوريجانس: **في المبادئ**، عربه وقدم له وعلق عليه ونقحها الأب جورج خوام البولسي، الفكر المسيحي بين الأمس واليوم (٣١)، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، ٢٠٠٣م، (ص ص ٢٦١ : ٣٠٠).

(56) Gerald Bostock: **The Influence of Origen on Pelagius and Western Monasticism**, p. 2.

مثل الله من خلال العيش النقي الخالي من الخطيئة". وقد أثار هذا التعليم غضب "جيروم"، الذي اتهم البيلاجيين بأنهم يطالبون بالمساواة مع الله من خلال إرادتهم الحرة، وإمكانية تحقيق الكمال الخالي من الخطيئة. كما ادعى "جيروم" في حواره ضد البيلاجيين أن إرادة يسوع كانت معيبة، وأنه كان مترددًا، وهو ادعاء رفضه "بيلاجيوس" في كتابه "اعتراف الإيمان"، فبالنسبة لـ"بيلاجيوس" كما هو الحال بالنسبة لـ"أوريجانوس"، كان للمسيح إرادة حرة غير مقيدة، وتنبع هذه الحرية من الطبيعة الأساسية للنفس كعامل متحرك ذاتيًا. وبالنسبة لأوريجانوس، يمكن تعريف النفس بأنها ذلك الكائن الذي يتمتع بقوة الحركة الذاتية، ويقول إنه "إذا نزعنا من الكائن الحي هذه الحركة من داخله، فلن نتمكن بعد الآن من تصورها كمخلوق حي"، ويأتي هذا الفهم للنفس في الأساس من "أفلاطون" الذي أكد أن للنفس قوة سياديَّة، بمعنى أنها خَلقت جسدها، وقادرة على اختيار مصيرها، كما رأى "أوريجانوس" أن وضع الروح في هذا العالم يتحدد بممارستها للحرية، وأن الروح، كعامل متحرك ذاتيًا، مسؤولة عن خلاصها. وهو ما عبر عنه بقوله: "نعتقد أنه في وقت ما سيختار كل فرد من خلال ممارسة حريته ما يريده، وسيكون على تلك الحالة التي اختارها"، وبالتالي، فالفكرة الرئيسة عند كل من: "أورجانوس" و"بيلاجيوس" هي المسؤولية غير المقيدة للروح الفردية.(٥٧)

وتجدر الإشارة هنا إلى ضرورة إدراك أن اللاهوت الذي يكمن وراء هذه القضية بالنسبة لـ"أوريجانوس" ليس ذا أهمية كبيرة بالنسبة لـ"بيلاجيوس"، فلم يكن الأمر بالنسبة جدالًا حول الوجود المسبق للروح، بل كان رفضًا للتفسيرات التي لا تتوافق مع متطلبات الأخلاق والعدالة الإلهية. فما يهم قبل كل شيء بالنسبة لـ"بيلاجيوس" هو قناعته بأن الروح هي الخلق الخالص والمباشر لله، وبالتالي، فهي محايدة أخلاقيًا قبل أن تتخذ قراراتها الخاصة، "**لقد خلقنا بلا فضيلة وبلا خطيئة، وقبل أن نتخذ أفعالنا بإرادتنا، فإن ما يوجد في الإنسان هو فحسب ما أنشأه الله**"، فالإرادة الحرة جزء لا يتجزأ من طبيعتنا الممنوحة من الله بالنسبة للبيلاجيين، وأن الإرادة الحرة موجودة في كل شيء بطبيعتها، ولا يمكن أن تهلك بسبب خطيئة آدم.(٥٨)

ويقول "جيروم": "إنا علينا فحسب أن نشكر الله لأنه خلقنا أحرارًا، وانطلاقًا من خيارنا الحر، يمكننا أن نقوم بالخير ونتجنب الشر، ولكنهم بقولهم هذا لا يرون أنهم يتكلمون بلسان الشيطان، وينطقون بالتجديف؛ لأنه إذا كانت نعمة الله كلها تنحصر فيما وهبنا إياه من إرادة حرَّة، وإذا اعتقدنا أنه بوسعنا أن نكتفي بتلك الإرادة الحرة، ونستغني عن معونته، لئلا تنتقص حريتنا، فيستنتج عن ذلك أنه ليس علينا بعد أن نصلي ولا أن نستدرَّ رحمته بتضرعاتنا، لكي ننال منه النعمة، ...، إن أولئك الفلاسفة (أوريجانوس وبيلاجيوس) ينسفون كليًّا ممارسة الصلاة، ويتوهمون أنهم ، بإرادتهم الحرة، فقد صاروا لا أسيادًا على إرادتهم الشخصية فحسب،

(57) Gerald Bostock: **The Influence of Origen on Pelagius and Western Monasticism**, p.p. 5, 7.
(58) Ibid, P. 8.

بل مساوون لله نفسه الذي ليس بحاجة لأحد لكي يفعل ما يشاء. فليلغوا الصوم إذن والتقشف، فما حاجتي إلى العناء لكي أحصل بالعمل ما أستطيع أن أحصل عليه بالإرادة".(٥٩)

ويتابع "جيروم" منتقدًا "سليستيوس" قائلًا: "إذا كنت لا أستطيع أن أعمل من دون معونة الله، وإذا كان ينبغي أن أعزو إليه كل أعمالي، فإن أعمالي ليست هي التي تمجد، بل معونة الله. أفيكون قد حباني الإرادة الحرة عبثًا، إذا كنت لا أستطيع أن أستعملها إلا بمعونة دائمة من لدنه! إن إخضاع الإرادة لمعونة خارجية يعني هدمها؛ غير أن الله حباني الإرادة الحرة، فما معناها إذا كنت عاجزًا عن أن أفعل ما أُريد؟ فإمّا أن أستخدم هذه القدرة التي وهبنا الله، وأحافظ على خياري الحر، وإما أن أفقدها نهائيًا، إذا كنت بحاجة إلى معونة من الخارج لكي أعمل، .... إننا نقر إراديًا، بأن الله وهبنا الإرادة الحرة، ولكن بعيدًا من أن نعتقد أننا معفون من أن نؤدي له أفعال شكر متواصلة، فإن علينا، على العكس أن نفكر بأننا لا نقوى على شيء إن لم يهتم الله بالمحافظة على ما أعطانا".(٦٠)

كما نجد "جيروم" يؤمن بحرية الإرادة إلا أنها حرية مشروطة، فهي تأتي من الله بشكل مستمر بفعل النعمة الإلهية، حيث يقول: "صحيح أن حريتنا تُحرر إرادتنا، غير أنها لا توفر لنا القدرة على عمل الخير، وهذه القدرة لا تأتينا إلا من الله وحده الذي ليس بحاجة إلى أيّ معونة خارجية".(٦١) أما "بيلاجيوس" في رأى أن الإنسان حر حرية كاملة، وليس بحاجة إلى نعمة إلهية تعطية إمكانية ممارسة هذه الحرية.

وتجدر الإشارة إلى أن القوة الديناميكية واللاهوتية للبيلاجية تكمن في عقيدتها عن الإرادة الحرة، والتي استلهمتها بشكل رئيسي من "أوريجانوس"، وقد ربط "جيروم" في هجومه على "بيلاجيوس" بينه وبين "أوريجانوس" على وجه التحديد، وقد وصف عقيدة "بيلاجيوس" بأنها إحياء لأفكار "أوريجانوس"، ويشير إلى "أورجانوس" باعتباره المعلم القديم للبيلاجيين. إلا أن ما فشل في ملاحظته "جيروم"، وكان يجب أن يعترف به هو التوازي بين دفاع "أوريجانوس" عن الحرية البشرية في مواجهة القدرية الرواقية والحتمية الغنوصية، ودفاع "بيلاجيوس" عن الحرية البشرية في مواجهة القدرية المانوية والحتمية الأوغسطينية.(٦٢) أي أن "جيروم" أسقط من حسبانه السياقات التي طرح "أوريجانوس" أفكاره في ضوئها.

- **هجوم أوغسطين على حرية الإرادة عند بيلاجيوس.**

كما أثار "بيلاجيوس" غضب "أوغسطين" بزعمه أنه من الممكن تحقيق خلو من الخطيئة إذا طبق الإنسان إرادته ليعيش حياة أخلاقيَّة وزهديَّة، ولهذا فسر "أوغسطين" أقوال "بيلاجيوس" على أنها تضع الإرادة

(٥٩) هيرونيمس: **رسائل هيرونيمس**، ص ٨٠٨.
(٦٠) المصدر نفسه، ص ص ٨٠٩، ٨١٠.
(٦١) المصدر نفسه، ص ٨١٧.

(62) Gerald Bostock: **The Influence of Origen on Pelagius and Western Monasticism**, p. 4.

الحرة في مكان النعمة الإلهيَّة كوسيلة للخلاص.[٦٣] وقد رفض "أوغسطين" هذا، ونادى بأولويَّة النعمة الإلهيَّة منذ بداية الحياة حتى نهايتها، ورأى بأن البشر لا يمتلكون الحرية اللازمة للحصول على الخلاص.[٦٤] كما رأى أن تأكيد "بيلاجيوس" على الإرادة الحرة، واستحقاق الإنسان قد أنكر النعمة الإلهية، وصلب المسيح. ولكن، في الواقع أن "بيلاجيوس" قد آمن بالنعمة، ولكنه رأى أنها عبارة عن هبة إلهية للعقل الإنساني، فهو لم يقبل جعل نعمة الله تعمل مباشرة داخل قلب الإنسان، محاولة إياه إلى ما هو صواب، وهذا من شأنه أن يكون إنكارًا لقدرة الإنسان على اختيار الصواب والخطأ بحرية.[٦٥]

كما رأى "أوغسطين" أن القول بأن الإرادة الحرة التي أعطاها الله كجزء من الروح العاقلة بصفته الخالق الكامل هي قوة محايدة قادرة إما على الإيمان أو على الكفر كما زعم البيلاجيون، ولهذا، فهي تحتاج إلى دعوة الله التي يجب أن تتلقاها وتقبلها حتى يكون لها إيمان.[٦٦] وقد صرح بقوله: "مخطئ من يتكل على الذات البشرية، يُخشى أن يفهم البعض أن النصوص الورادة في الكتاب المقدس المؤكدة على الإرادة الحرة على أنها لا تترك مجالًا لعون الله، ونعمته في الحياة الصالحة والسلوك الحسن اللذين بهما ننال الحياة الأبدية، كما يخشى أيضًا لئلا يتجاسر الإنسان عند بلوغه الحياة الصالحة والسلوك الحسن فيمجد هذا الفقير البائس نفسه لا الله واضعًا رجاءه في الحياة البارة في نفسه وحده، فيسقط في لعنة النبي "إِرْمِيَا":[٦٧] **«هكَذَا** قَالَ الرَّبُّ: مَلْعُونٌ الرَّجُلُ الَّذِي يَتَّكِلُ عَلَى الإِنْسَانِ، وَيَجْعَلُ الْبَشَرَ ذِرَاعَهُ، وَعَنِ الرَّبِّ يَحِيدُ قَلْبُهُ.**»**[٦٨]

ويتابع "أوغسطين" قائلًا: "أرجو أن تفهموا عبارة النبي؛ لأنه إذا لم يقل "ملعون الرجل الذي يتكل على نفسه" ظن البعض أنها قيلت لتمنع الإنسان عن الإتكال على الغير لكي يتكل على نفسه، ولكي يتضح أن هذه المشورة موجهة بقصد عدم إتكال الإنسان على ذاته، يكمل قوله "ويجعل الجسد ذراعه"، وقد استخدم الذراع إشارة إلى قوة العمل ، قاصدًا بالجسد الضعف البشري، فيظن فيما هو واهن أن لديه قوة لتنفيذ الأعمال الصالحة، وبهذا لا يتكل على الله ليعينه".[٦٩]

وقد حظيَّت أطروحة "الإرادة الحرة" لـ"أوغسطين" بثناء نقاده الذين تأسوا بـ"بيلاجيوس" إيمانًا منهم بأن "أوغسطين" المتأخر أخفق في أن يُعطي الحرية حقها؛ ومن ثم انتزع القيمة الأخلاقية من أعمال الفضيلة. إلا أن محاولة وضع "أوغسطين الشاب" في منافسة مع "أوغسطين العجوز" محاولةٌ واهية، حيث اعترف

(63) Annette H.M. Evans: **Augustine and Pelagius as a Cameo of the Dilemma between Original Sin and Free Will,** p. 6.

(64) Juuinner Kasingku: **Augustine and Pelagius view on Salvation: Salvation by Grace or Works**, p. 56.

(٦٥) جوناثان هيل: **تاريخ الفكر المسيحي**، ص ٨٣

(66) Mowbray Allan: **Augustine the Semi-Pelagian, Augustiniana**, Vol. 62, No. 3/4, Peeters Publishers, 2012, p.243.

(٦٧) **إِرْمِيَا**: الأصحَاحُ السَّابعُ عَشَرَ، (٥).

(٦٨) أوغسطين: **النعمة والإرادة الحرة**، ص ٢٠.

(٦٩) المصدر نفسه، ص ص ٢٠، ٢١.

"أوغسطين" أن هناك بعض الجمل كان يجب أن يصوغها بشكل أكثر دقة، وأحس بأن أطروحته تناولت الخطيئة على حساب الفضيلة، حيث تضمنت حججه إصرارًا على انتقال إثم آدم وعقوبته إلى نسله، وعلى عجز الإنسان الآثم عن إنقاذ نفسه بإرادته.(٧٠)

وقد اعترض "بيلاجيوس" على "أوغسطين" بأن لغته الدينية كانت لغة حرفية، فإنها تنكر إرادة أبناء الله، والسماح لهم بعدم التفكير في أنفسهم، حيث تضعهم على قدم المساواة مع العصى والحجارة، فقد جعل "أوغسطين" الإنسان مجرد شيء مادي، أما "بيلاجيوس" فكان في طريقه لاستعادة الإنسان، وجعل الله مجرد شيء، وكان "أوغسطين" محقًا في نسب الفضل ليس لنفسه بل لله، وكان مخطئًا في القول بأنه لم يكن له رأى حر، وكان "بيلاجيوس" محقًا في التأكيد على حرية الإنسان، وكان مخطئًا في تحويل الاستقلال إلى اكتفاء ذاتي، والحرية إلى كبرياء، ومن الممكن التوصل لحل للخلاف بين "بيلاجيوس" و"أوغسطين"، يمكننا أن نسمح لـ"بيلاجيوس" بما يدافع عنه، أي الحرية الشخصية، بينما نسلم لـ"أوغسطين" بأن الله هو المسئول في المقام الأول عن تحول الإنسان عن الخطأ نحو الحقيقة.(٧١)

ويبدو من الغريب إفتراض أن "بيلاجيوس" استعار في كتابه "شرح رسالة بولس إلى أهل رومية" من "أوغسطين" المعارض له، ففي الوقت الذي كتب فيه "بيلاجيوس" تعليقه، كان "أوغسطين" بالفعل رجلاً ذا مكانة مرموقة، وكان من الطبيعي أن يأخذ "بيلاجيوس" – غير المتحيز – منه كما يأخذ من الآخرين كل ما يعتقد أنه مناسب لفكره.(٧٢)

ويتضح أن "جيروم" و"أوغسطين" هاجما المبادئ البيلاجية للكمال الفردي والجماعي، ولكنهما فعلا ذلك بطرق مختلفة، فقد رفض كلاهما مبدأ الكنيسة الخالية من الخطيئة، ولكن بينما هاجم "جيروم" المثل الأعلى للكمال الفردي، كان "أوغسطين" مستعدًا للاعتراف بإمكانية الكمال، ونبذ التهمة التي وجهت إلى "بيلاجيوس"، بأنه يدعو للمساواة مع الله. ووصف "أوغسطين" البيلاجية بأنها بدعة جديدة إلا أن "جيروم" كان حريصًا على وصفها بأنها بدعة جديدة وقديمة في الوقت ذاته، بمعنى أنها قد تبدو جديدة، ولكنها في الحقيقة بدعة قديمة، ترجع إلى "أوريجانوس"، فهو أول من نادى بها، ومع ذلك لم ير "أوغسطين" الأمر بهذه الصورة، بل كانت بالنسبة له مجرد بدعة جديدة، ويبدو أنه لم يكن مدركًا تمامًا أنه بالنسبة للعديد من الناس كان هو نفسه

(٧٠) هنري تشادويك: **أوغسطينوس**، مقدمة قصيرة جدًا، ترجمة أحمد محمد الروبي، مراجعة هاني فتحي سليمان، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٦م، ص ٤٧.

(71) J. R. Lucas: **Pelagius and St. Augustine**, the Journal of Theological Studies, April 1971, New Series, Vol. 22, No. 1, April 1971, p.p. 73, 78.

(72) A. J. Smith: **The Latin Sources of the Commentary of Pelagius on the Epistle of ST. Paul to the Romans**, Part II, The Journal of Theological Studies, Vol. 20, No. 77, Oxford University Press, October, 1918, p. 55.

صاحب عقائد جديدة. ومع ذلك، استلهم "بيلاجيوس" إلهامه من تقليد لم يفهمه "أوغسطين"، ألا وهو تقليد "أوريجانوس" مع التركيز على حرية الروح بشكل خاص.(٧٣)

وتجدر الإشارة هنا إلى أن إدانة "أوريجانوس" ومن بعده "بيلاجيوس" تعني أن الفرصة الأخيرة لتوحيد مُثمر بين المسيحية الشرقية والمسيحية الغربية قد ضاعت، وقد أدى إدانتهما إلى ازدهار اللاهوت المسيحي في الغرب، والذي كان اهتمامه الأساسي هو الخطيئة البشرية، وليس الإمكانات البشرية؛ والخلق الإلهي وليس المسؤولية البشرية؛ وسر الله وليس عدالة الله.(٧٤)

ويعقب "بيتر برون" Peter Brown، قائلًا: "يثير التباين بين "بيلاجيوس" و"سيلستوس" مشكلة البيئة الفكرية الدقيقة التي طور فيها "بيلاجيوس" أفكاره، إذ يمكن الشعور بقرب "روفينوس" من "بيلاجيوس" و"سيلستوس"، على الرغم من أن ردود أفعالهما تجاه الأوريجينية كانت مختلفة. وقد استعان "بيلاجيوس" بحذر بالجوانب الأكثر قبولًا في الأوريجينية كما أتاحها "روفينوس"،(٧٥) كما أن السياق الذي وجدت فيه هذه الإشكاليات كان ينظر فيها للداعين لحرية الإرادة والمسئولية الفردية على أنها هرطقة وجب تجديفها وإدانتها؛ لأنها تمثل خطرًا على الدين والمجتمع آنذاك.

لم يقف "بيلاجيوس" عند حد دعوته لحرية الإرادة الإنسانية، رغم الهجمات العنيفة التي شنها عليه كل من: "جيروم" و"أوغسطين"، بل أخذ يدعو إلى أفكار أخرى من شأنها أن تؤسس لفلسفة الخلاص الذاتي، ومن أهم هذه الأفكار هي نقدة لمفهوم عقيدة الخطيئة الأصلية، تلك العقيدة التي تغلغلت في اللاهوت المسيحي بسبب الرسول "بولس" من ناحية وتأويل "أوغسطين" لها من ناحية أخرى.

ثالثًا: نقد "بيلاجيوس" لوراثة الخطيئة الأصلية.

كان هناك إعتقادًا سائدًا في البيئة الدينية أثناء حياة "أوغسطين"، ألا وهو أن السقوط الأول من العالم الروحي سببه ضعف البشرية، وكذلك فعل "أوغسطين"، والذي آمن بأن خطيئة آدم إنتقلت إلى البشرية، وإنه لا يمكن الخلاص منها إلا بنعمة الله، وهذه النعمة تحتكرها الكنيسة الرومانية الأرثوذكسية، وكان "بيلاجيوس" واحدًا من الذين قاوموا هذا الشكل الاستبدادي، فقد أنكر كون الخطيئة تنتقل بفعل الولادة، وأن الخطيئة كانت نتيجة فعل إرادي، تتمثل في اختيار الشر على الخير، وأن النعمة الإلهية لا تستطيع أن تكمل قداسة البشرية دون ممارسة الإرادة الحرة.(٧٦)

وقد صُدِمَّ "بيلاجيوس" عندما وصل إلى روما في نهاية القرن الرابع الميلادي عندما وجد أن بعض الناس برروا حياتهم الآثمة لاهوتيًا، وأخبروه بأنهم ليس لديهم القدرة على التغلب على الخطيئة الأصلية، فمن

(73) Gerald Bostock: **The Influence of Origen on Pelagius and Western Monasticism**, p. 6.
(74) Ibid., p. 16.
(75) Peter Brown: **The Patrons of Pelagius: The Roman Aristocracy Between East and West**, The Journal of Theological Studies, Oxford University Press, APRIL, new series, Vol. 21, No. 1, April 1970, p. 62.
(76) Annette H.M. Evans: **Augustine and Pelagius as a Cameo of the Dilemma between Original Sin and Free Will,** p.p. 1, 2.

المستحيل أن يفعل الإنسان أي شيء خير ما لم يسببه الله مباشرة من خلال عمل النعمة؛ لذا، فإذا كان قد قدر علينا الخطيئة أو النعمة. وبلغت الأمور أوجها يومًا ما عندما كان "بيلاجيوس" حاضرًا قراءة اعترافات "أوغسطين"، وعندما قُرِأَّ: "**أأمر بما تريد، واعط ما تأمر به**"، فصاح "بيلاجيوس" على ما تضمنته تلك العبارة المُوحية بأن الله يتحكم في خليقته، ويحركهم مثل الدُمَى، إلا أن أسكته صياح وغضب قاريء "الاعترافات".(٧٧) وهي ذاتها نفس الواقعه التي حفزته على مناقشة قضية حرية الإرادة الإنسانية التي سبق معالجتها في المحور الثاني من هذه الدراسة.

فبدأ "بيلاجيوس" في هجومه على عقيدة الخطيئة الأصلية، وذلك من خلال تأويله للنص الديني الذي يناقش هذه القضية، وهو "رسالة الرسول بولس إلى أهل رومية"، فقام بكتابة تأويل لها، وذلك حتى لا يخرج عن العقيدة المسيحية من ناحية؛ وليقف على الدلالة الحقيقة لقصة الخطيئة الأولى من ناحية أخرى.

لقد اختار "بيلاجيوس" نص الترجمة اللاتينية للإنجيل، وكتب تعليقًا موجزًا عليه، وأصدره في روما عام (٤١٠م)، وتم تداوله في جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية، ورحب به مواطنوه بفخر. ولم يلقي في البداية سوى قليل من الاهتمام، ولكن تدريجًا شق طريقه بفضل جدارته، حتى وقع تحت أعين "أوغسطين" آيات من الكتاب المقدس عندما قرأ "رسالة الرسول بولس إلى أهل رومية"(٧٨) :«١٢مِنْ أَجْلِ ذلِكَ كَأَنَّمَا بِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ دَخَلَتِ الْخَطِيَّةُ إِلَى الْعَالَمِ، وَبِالْخَطِيَّةِ الْمَوْتُ، وَهكَذَا اجْتَازَ الْمَوْتُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ، إِذْ أَخْطَأَ الْجَمِيعُ.» وأن الأطفال لا يحملون الخطيئة الأصلية، فشرع "أوغسطين" في دحض تأويل "بيلاجيوس"، ونتج عن هذا أن أصبح "بيلاجيوس" سيء السمعة نتيجة للتشويهات التي ألصقها "أوغسطين" به.(٧٩)

كما ذهب "روفينوس" في مقدمة ترجمته لتعليق "بيلاجيوس" على "رسالة الرسول بولس إلى أهل رومية"، فيما يرى "ثيودور دي بروين"، إن الاعتقاد بأن الجنس البشري يرث الخطيئة الأولى، وأنه بسببها حتى الأطفال غير المعمدين سوف يُدانون. بالنسبة له، كان من التناقض بين عدالة الله وقدرته المطلقة، والإرادة الحرة ومُساءلة كل إنسان، أن نؤكد أنه بسبب خطيئة آدم وحواء فإن جميع البشر مذنبون. لقد رأى أن السقوط لم يفسد الطبيعة البشرية، وأن الحالة البشرية المشتركة للفناء الجسدي هي في الواقع نتيجة للسقوط؛ لقد أطاعت الأجساد أمر الله، ولكنها ليست عقوبة على الخطيئة؛ لأنها تُرتكب حتى على الصالحين، بل إنها وسيلة لكبح الشر من ناحية، وتحرير المرء من الصراع مع الشر في هذه الحياة من ناحية أخرى.(٨٠)

---

(٧٧) جوناثان هيل: **تاريخ الفكر المسيحي**، ص ٨٢.

(٧٨) **رِسَالَةُ بُولُسَ الرَّسُولِ إِلَى أَهْلِ رُومِيَةَ**: الأصحَاحُ الْخَامِسُ، (١٢).

(79) Alex. Souter: **The Commentary of Pelagius on the Epistles of ST. Paul**, p. 457.

(80) Pelagius, **Pelagius's commentary on St. Paul's Epistle to the Romans**: Trans., Intro. and Notes, Theodore De Bruyn, Oxford, England: Clarendon Press, 1993, p. 19. **And also**, Clair, Craig: "**A Heretic Reconsidered Pelagius, Augustine, And "Original Sin",** p. 6

وبهذا، فقد رفضَ "بيلاجيوس" عقيدة الخطيئة الأصلية، والتي كان يجري تطويرها آنذاك من قبل "إمبرواز" Ambroise(٣٣٩- ٣٩٧م)، و"أوغسطين"، والتي وصفها بأنها تجعل البشر يخطئون حتى بعد معموديتهم. ورفض أيضًا الفكرة القائلة بأن أي أحد آخر بخلاف آدم يحمل ذنب خطيئته، وكانت هذه الخطيئة كارثيَّة؛ لأنها أظهرت للأجيال اللاحقة كيف يعصون الله.[٨١] وقد رفض "بيلاجيوس" كون هذه الخطيئة ميراثًا نفسيًا، وبيولوجيًا، وعقليًا، وعاطفيًا، وإراديًا، وضميريًا إنتقل من آدم ممثلًا في النموذج البشري إلى ذريته.[٨٢] ولم يعترف"بيلاجيوس" بانتقال هذه الخطيئة، ولم يعترف بفساد طبيعة الإنسان. ولقد خلق الله آدم بالحالة التي نولد نحن بها، وله نفس الشهوة، ومعرضًا للمرض، ولكافة مآسي الحياة، كما أنه قابل للموت. ولذلك، فإن إرادتنا لم تضعف إطلاقًا نتيجة خطيئة ارتكبها الإنسان الأول.[٨٣]

إن الخطيئة الأصلية تؤكد أن حالة الخطيئة هي الإصابة بالفساد الذي يعاني منه البشر، في حين لم يفسد آدم ولا حواء، فإن قرارهما بالخطيئة تسبب في سقوطهما بعيدًا عن الحياة الإلهية والموت، وهنا الخطيئة هي مرض أو علة، وليست عقابًا من الله على العصيان. بل إن الموت هو نتيجة طبيعية للفشل في تكوين علاقة سليمة بالحياة الإلهية، وينطوي هذا السقوط على فقدان النعمة الإلهية، وكذلك اكتساب فساد ومرض وموت. ولا تحتوي الخطيئة الأصلية على أي فكرة عن عقيدة الذنب الأصلي، فالبشر مذنبون بحكم خطيئتهم الفعلية، ويحتفظون بالإرادة الحرة بحكم كونهم خلقوا على صورة الله، وهذه الحرية مقيدة، فالبشر يرثون فساد آدم وفنائه، وليس ذنبه، إنهم مذنبون فحسب بقدر ما يحاكون آدم باختيارهم الحر. وبالتالي، تنكر البيلاجية تأثير خطيئة آدم، وفساد الطبيعة البشرية، إلى الحد الذي يعني فيه هذا السقوط أن البشر كانوا ملزمين بارتكاب أعمال خاطئة، وبالتالي، مهما كانت احتمالية أن يعيش الإنسان حياة خالية من الخطيئة، فمن الممكن أن يتجنب الخطيئة بشكل دائم، وبالتالي، تساوي البيلاجية بين إمكانية تجنب الخطيئة ووضع المرء نفسه في علاقة صحيحة مع الله. فقد أثرت خطيئة "آدم" على ذاته فحسب، ولم تؤثر على نسله، ويمكن للبشر أن يعيشوا حياة طيبة جيدة ترضي الله، وبالتالي، يضعون أنفسهم في علاقة صحيحة معه.[٨٤]

كما رأى "بيلاجيوس" أن آدم أخطأ بالفعل، ولكن خطيئته تخصه وحده، فهي لم تنتقل إلى الجنس البشري من بعده. وكل إنسان مسئول مسئولية كاملة عن أفعاله، وبطبيعة الحال تنطوي هذه النظرة على التهوين من شأن الدور الذي يلعبه صلب المسيح في خلاص البشر. فضلًا عن أنها تنكر أهمية الدور الذي يلعبه الانتخاب الإلهي والنعمة الإلهية في خلاصهم. فهي ترى أن إتكالهم على هذه النعمة الإلهية يدعوهم إلى

---

(٨١) جوناثان هيل: **تاريخ الفكر المسيحي**، ص ٨٣.

(82) Luiz Carlos Mariano Da Rosa: **On sin as a rational symbol between Pelagius and Augustine, according to Paul Ricoeur: on will as the locus of freedom and responsibility**, p. 1.

(٨٣) بي بورات: **تاريخ الروحانية المسيحية**، ص ١٩٥.

(84) Parker Haratine: **The Ancestral Sin is Not Pelagian**, p. 4.

التكاسل والتراخي والامتناع عن بذل الجهد الإرادي لإصلاح النفس.[٨٥] وقد أوصى الإنسان بعمل الخير، وأنه لا يأمر بما هو مستحيل، فإن هذا معناه أن لدى الإنسان القدرة على عدم انتهاك ناموس الله، وإذا كانت إرادة الإنسان كلية القدرة على عمل الخير، فلابد أن تكون قادرة على تجنب الشر وحفظ وصايا الله دون السقوط في الخطيئة. وعلى ذلك، بمقدور الإنسان أن يعيش بلا خطيئة، وبدون أن يعمل حتى الخطايا، وهو ليس بالطبع معصومًا من الخطأ مثل الله، غير أنه لديه القوة – حتى دون مساعدة النعمة – على أن يتجنب كل الخطايا.[٨٦]

وأخذ يجادل "بيلاجيوس" بأنه من الممكن أن نحيا دون خطيئة لو وضعنا حقًا في ذِهننا هذا، وأشار إلى أنه سيكون من غير العدل لو أن الله يأمرنا بأن نفعل ما هو فوق طاقتنا، ثم يعاقبنا عندما نفشل، ويدعونا الكتاب المقدس بأن نعيش كاملين؛ لذلك يجب أن يكون بإمكاننا القيام بذلك.[٨٧] وهناك مسألة جديرة بالنظر، هي أن الانتصار على الخطايا الجزئية شيء، أما الانتصار على الخطيئة نفسها شيء آخر، والجهاد ضد الخطيئة الجزيئة يقتضي اليقظة الدائمة، ومراقبة النفس مراقبة مستمرة، ثم أن ظهور الدوافع الشريرة تقتضي هذه المراقبة وتلك اليقظة.[٨٨]

ويمكن استخلاص ثلاث ملاحظات حول رؤية "بيلاجيوس" في إنكار الخطيئة الأصلية، **الأولى**، أنها تعني أن البشر مقهورون في التصرف بحرية، علاوة على ذلك، أنها ليست شيئًا يمكن لذرية آدم أن تتحمل المسئولية؛ لأنها ارتكبت تلك الخطيئة، ومن أجل الحفاظ على الحرية البشرية والمسئولية الأخلاقية والتقدم الأخلاقي، تنكر البيلاجية أن البشر يرثون هذه الحالة الخاطئة، وبالتالي، فإن الإنسان يفقد أساسًا الإدعاء بأن البشر يولدون في حالة يحتاجون إلى الخلاص والشفاء منها؛ لذلك، فهي تنكر الحاجة إلى الخلاص. أما **الثانية** فإنه من الممكن أن يتجنب الإنسان ارتكاب الخطيئة الفعلية، أي أن هناك عالم محتمل من الممكن أن يتجنب فيه الإنسان ارتكاب الخطيئة الفعلية. **والثالثة**، أنه ليس من الضروري أن يكون جميع البشر في حاجة إلى خلاص المسيح، كما يرى "أوغسطين" وأخرون، وهذا يعني أنه إذا كان بوسع الإنسان أن يتجنب الخطيئة ويرتكب عملًا أخلاقيًا صالحًا، فإن ذلك يعني ببساطة أن الإنسان يستطيع أن يكسب الخلاص ذاتيًا. وبالتالي، نصل هنا إلى شبه البيلاجية.[٨٩]

---

(٨٥) رمسيس عوض: **الهرطقة في الغرب**، ص ٩٣.

(٨٦) بي بورات: **تاريخ الروحانية المسيحية**، ص ١٩٦.

(٨٧) جوناثان هيل: **تاريخ الفكر المسيحي**، ص ٨٣

(٨٨) أباكير عبد المسيح: **البلاجيون**، ص ٩.

(89) Parker Haratine: **The Ancestral Sin is Not Pelagian**, p. 5.

وتجدر الإشارة إلى أن "بيلاجيوس" كان ليخرج بنتيجة أفضل لو أولى اهتمامًا أكبر بشرح عقيدة اللاهوت من منظور النعمة كحرية ملموسة، كما أن الخطيئة الأصلية لم تحظ إلا بقبول مشروط حتى في الغرب، وتبين أنها نظرية معيبة ألحقت ضررًا أكثر من نفعها [٩٠] في اللاهوت المسيحي الغربي المعاصر.

وكان "جيروم" من أهم المهاجمين لموقف "بيلاجيوس" في إنكاره للخطيئة الأصلية، "كتب "كتيسيفون" Ctesiphon إلى "جيروم" يسأله في رأيه في نقطتين في تعليم "بيلاجيوس"، الأولى في تصوفه، والثانية في إنكاره للخطيئة الأصلية، وفي رده، يدحض "جيروم" النظريتين، ويكشف أن "بيلاجيوس" إقتبس جزء منها عن الفلاسفة، والآخر عن الهراطقه".[٩١] كما إنتقد "جيروم" رأي "بيلاجيوس" بأن الإنسان يمكن أن يعيش دون خطيئة، مستشهدًا بما جاء في "إِشَعْيَاءَ" حيث قال: «[١٣]وَأَنْتَ قُلْتَ فِي قَلْبِكَ: أَصْعَدُ إِلَى السَّمَاوَاتِ. أَرْفَعُ كُرْسِيِّي فَوْقَ كَوَاكِبِ اللهِ، وَأَجْلِسُ عَلَى جَبَلِ الاجْتِمَاعِ فِي أَقَاصِي الشَّمَالِ. [١٤]أَصْعَدُ فَوْقَ مُرْتَفَعَاتِ السَّحَابِ. أَصِيرُ مِثْلَ الْعَلِيِّ.»[٩٢] فهل أوقح من إنسان يريد أن يجعل نفسه مساويًا لله، لا شبيهًا به فحسب، إن الذين تبنوا هذه المعتقدات يزعمون أنهم بالتأمل وممارسة الفضيلة بصورة متواصلة، بوسعهم الانعتاق من كل أشكال الرذيلة، وتخلصوا نهائيًا عن قلوبهم القلق والاضطرابات التي يسميها اليونانيون الحزن والفرح اللذين هما سمات الحاضر، والخوف والرجاء اللذين هما سمات المستقبل.[٩٣]

ويقول "جيروم": "ويقولون أن الإنسان إذا كان بوسعه أن يكون بلا خطيئة، وكما يقول اليونانيون أن يكون معصومًا. ولما كانت تلك الكلمة تبدو قاسية، وغير مقبولة لدى كنائس الشرق كلها، فإنهم يجهدون في إخفاء مشاعرهم بقولهم إنهم يقرون بأن الإنسان بوسعه أن يكون بلا خطيئة، ولكنهم لا يجرؤون على التأكيد بأن بوسعه أن يكون معصومًا. كما لو أن ثمة فارقًا بين عبارتي: بلا خطيئة ومعصوم، فإذا كنت تقول بأنه يمكن للإنسان أن يكون بلا خطيئة وليس معصومًا، فاشجب إذًا، من يقولون بأنّ بوسعه أن يكون معصومًا"، وقد رأى "جيروم" أن "بيلاجيوس" قد اتبع عقيدة كل من: "ماني"، و"بريسيليانس" اللذين بدورهما أخذا أفكارهما من هرطقة الغنوصية و"باسيليدس".[٩٤] إلا أن "أوغسطين" قد هاجم "بيلاجيوس" هجومًا عنيفًا في رؤيته هذه التي ترفض عقيدة الخطيئة الأصلية، وأكد على وراثة الخطيئة الأصلية، ولابد للخلاص من قبل الكنيسة حتى يغفر الله للبشر وراثتها.

فقد رأى "أوغسطين" أنه بسبب خطيئة آدم، شارك الإنسان بالتساوي في ذنبه، ونتيجة لطرده من الجنة خلق الإنسان ليعيش حياة كان مقدرًا لها الموت والجهل والخطيئة. وفيما يتعلق بتطبيق الخطيئة على أحفاد آدم رأى "أوغسطين" بأن هذه حالة لا يمكن إنكارها ولا رجعة فيها، وستستمر في الانتقال من جيل لجيل،

(90) Eugene Teselle: **Pelagius: A Reluctant Heretic**, B. R. Rees, Woodbridge: Boydell & Brewer Ltd., 1988, p. 244.

(٩١) هيرونيمس: **رسائل هيرونيمس**، ص ٧٩٨.

(٩٢) إِشَعْيَاءَ: **الأصحَاحُ الرَّابِعُ عَشَرَ**، (١٣ – ١٤).

(٩٣) هيرونيمس: **مرجع سابق**، ص ص ٧٩٨، ٧٩٩.

(٩٤) المصدر نفسه، ص ص ٨٠٢، ٨٠٣.

ومن خلال المسيح فقط يمكن الإنسان أن يخلص، ويستشهد "أوغسطين" بقول "بولس": "هكذا مكتوب، صار آدم الإنسان الأول نفسًا حية؛ وآدم الأخير (المسيح) روحًا محييا".(٩٥) لقد أسقط "أوغسطين" مشكلته الخاصة في قراءة قصة آدم وحواء وتطورها اللاحق إلى عقيدة الخطيئة الأصلية، فمن وجهة نظر نفسية، فإن أكل آدم للثمرة هو عمل رمزي للوعي، فهو يمثل بداية الخطوة المؤلمة للإنسانية نحو الوعي الأخلاقي والنفسي.(٩٦)

والواقع أنّ "بيلاجيوس" المعروف بنزعته الأنثروبولوجية التي اعتمدت على حرية الإنسان، وذلك على حساب نعمة الله، كان يعتقد باستقلال كل إنسان عن آدم، فأبطل فكرة توارث الأجيال خطيئة آدم، مركزًا على حرية الإنسان في اقترافه للخطيئة، وأمام هذه النظرة المتطرفة التي تتجاهل التضامن بين آدم والبشرية ركزَّ "أوغسطين" من جهته على العلاقة السببية، فاعتبر أن خطيئة آدم هي سبب خطايا البشر، وبالتالي، ابتكر صيغة "الخطيئة الأصلية"، فعندما أخذ "أوغسطين" في محاربة تطرف خصمه، وقع هو في تطرف معاكس، فكلتا الاستقلالية البيلاجية والسببية الأوغسطينية نظرتان متطرفتان. فلا بُدّ من تأكيد العلاقة بين خطيئة آدم وخطايا البشر (على خلاف نظرة بيلاجيوس)، ولكن دون اعتبارها علاقة سببية، لأن "بيلاجيوس" و"أوغسطين" قد فسّرا نص "رِسَالَةُ بُولُسَ الرَّسُولِ إِلَى أَهْلِ رُومِيَةَ"(٩٧) وأقرّ بالتضامن والصلة، ولكن دون أن يتطرق إلى طبيعتهما، تاركًا هذا الموضوع مفتوحًا.(٩٨)

فمن حدود الخطيئة الأصلية، أنها تُعقلن قضية وجودية وتحصرها في قضية أخلاقية، سواء أكان "بيلاجيوس" أو "أوغسطين"، فبالنسبة لـ"بيلاجيوس"، فمبتغاه مسئولية الحرية الشخصية كما أبرزها "إرميا" و"حزقيال" بكلامهما على المسئولية الشخصية، لا المتوارثة من الآباء، وأما "أوغسطين"، فمبتغاه إظهار قوى شريرة تسبق حرية الشخص ومسؤوليته، فنظرتهما أخلاقية، تتسم نظرة "أوغسطين" بالعمق الفكري، إذ إنها توضح سبب الخطيئة الأصلية كمصدر للشر، ولكنها تُسكِت صرخة الشكوى والألم والاحتجاج؛ وتتسم نظرة "بيبلاجيوس" بأنها أقرب إلى الحقيقة، إذا أنها توضح دور الإرادة الحرة المسئولة، ولكنها تتجاهل الصرخة الوجودية، فكلتا النظرتين لا تواجهان القضية مواجهة وجودية، بل تواجهانها مواجهة فكرية وأخلاقية.(٩٩)

لقد أصبحت قضية الخطيئة الأصلية هي واحدة من القضايا الرئيسة في الجدل البيلاجي، وأن تعاليم "بيلاجيوس" كانت وراء هذه المعارضة. ومع ذلك، لم يكن هذا الهجوم هو هجومًا مباشرًا على عقيدة رسمية

---

(95) Sylvain Bergeron: **Arianism and Pelagianism: Two Great Heresies of the Fourth and Fifth Centuries,** p.1176.

(96) Annette H.M. Evans: **Augustine and Pelagius as a Cameo of the Dilemma between Original Sin and Free Will,** p.p. 5, 9.

(٩٧) أنظر: «[12] مِنْ أَجْلِ ذلِكَ كَأَنَّمَا بِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ دَخَلَتِ الْخَطِيَّةُ إِلَى الْعَالَمِ، وَبِالْخَطِيَّةِ الْمَوْتُ، وَهكَذَا اجْتَازَ الْمَوْتُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ، إِذْ أَخْطَأَ الْجَمِيعُ.» **رِسَالَةُ بُولُسَ الرَّسُولِ إِلَى أَهْلِ رُومِيَةَ**، الأصحَاحُ الْخَامِسُ، (١٢).

(٩٨) سيداروس اليسوعي: **الأنثروبولوجيا المسيحية**، (٢)، الإنسان بين زلته وخلاصه، دار المشرق، بيروت، ٢٠١٥م، ص ١٥٣.

(٩٩) المرجع نفسه، ص ١٤٩.

للخطيئة الأصلية، بل إن ما نراه في موقف "بيلاجيوس" هو معارضة صارمة لأي نوع من أنواع الحتمية اللاهوتية، وقد اتخذت هذه الحتمية شكل وراثة الخطيئة أو وانتقالها، والتي كانت عنصرًا رئيسًا في مناخ متزايد من الحتمية التي كانت تنشأ في الدوائر التي كان "بيلاجيوس" قادرًا على الوصول لها. وكانت صياغة "أوغسطين" لعقيدة رسمية عن الخطيئة الأصلية حتمية للغاية، وهي التي دار حولها الجدل البيلاجي.(١٠٠)

ويمكن القول هنا في ضوء موقف "بيلاجيوس" من الخطيئة الأصلية، أن "بيلاجيوس" لم ينكر حدوث خطيئة آدم، فهي جزء أساسي في العقيدة المسيحية، فهي خطيئة حدثت بفعل "آدم" (عليه السلام)، وأخذ جزائه من ورائها، بأن نزل من السماء إلى الأرض، وهنا إنتهى جزاء الخطيئة، وليس لذريته علاقة بها من قريب أو من بعيد، فـ"بيلاجيوس" يرفض الوراثة ولم يرفض الخطيئة ذاته، لأن وراثة الخطيئة تتناقض مع حرية الإرادة البشرية من ناحية، كما تتناقض مع خيرية الطبيعية البشرية من ناحية أخرى.

رابعًا: دَعوة "بيلاجيوس" لخيريَّة الطبيعة الإنسانيَّة.

لقد انصب اهتمام "بيلاجيوس" على دحض الآريوسية والمانوية، فهما اللتان تحددان منهجه، وتجعلانه عندما يتحدث عن النعمة يضع دائمًا في ذهنه الثنائية المانوية، التي تعلن أن الشر هو جوهر العالم المخلوق، وأن الخطيئة لا مفر منها، لأنها مجرد عمل لمبدأ الشر في داخلنا، وقد كان الاهتمام بالمانوية مهمًا له لاتصاله بالأرستقراطية المسيحية الرومانية. ويظهر مبدأ خيرية الطبيعة الإنسانية عنده بشكل واضح في "رسالته إلى ديميتريا"، حيث قدم في بدايتها منهجه في تقديم المشورة الروحية، حيث يخبرنا أنه عندما يتعين عليه مناقشة مباديء السلوك الصحيح والحياة المقدسة، فإنه عادة ما يبدأ بإظهار قوة الطبيعة البشرية وخصائصها، ثم يشرح كيف توصل إلى هذا الاستنتاج، فأول طريقة لتكوين حكم على خيرية الطبيعة الإنسانية، هي المكانة المركزية التي تحتلها البشرية، فلقد خلق الله العالم وكل المخلوقات خيرة للغاية، فلقد خلق الله البشر على صورته ومثاله.(١٠١)

ويقول "بيلاجيوس": "يجب علينا أن نأخذ الاحتياطات حتى لا نقع في الخطأ الذي تخطئ فيه الأغلبية الجاهلة بسبب عدم الفهم الصحيح، ومن ثم تفترض معهم أن الإنسان لم يخلق صالحًا حقًا؛ لأنه قادر على فعل الشر، ولا تضطره إرادة طبعه الغالبة إلى فعل الخير على سبيل الإكراه، ودون أي احتمال للتغيير. إذا أعدت النظر في هذا الأمر بعناية، وجعلت عقلك يطبق فهمًا أكثر حدة، فسوف يتبين لك أن مكانة الإنسان أفضل وأعلى لنفس السبب الذي من أجله يعتقد أنه أقل، إنه على هذا الاختيار بين طريقين، فمن خلال الحرية يمكن اختيار أي بديل، وهو ما يرتكز عليه مجد العقل، وفي هذا يتكون خيرية طبيعتنا كلها، ومن هنا تستمد كرامتها ويفوز جميع الرجال الطيبين بالثناء والمكافأة الخاصة بهم. ولن تكون هناك أي فضيلة على

(100) Craig Clair: **A Heretic Reconsidered Pelagius, Augustine, and "Original Sin",** p. 1.
(101) Ibid, p. 8.

الإطلاق في الخير الذي يفعله الإنسان المثابر، إذا لم يتمكن في أي وقت من عبور طريق الشر حتى يصل إلى الحياة الخيرة".(١٠٢)

ويتابع "بيلاجيوس" بقوله: "ولأن الله أراد أن يمنح المخلوق العاقل موهبة فعل الخير بإرادته الحرة، والقدرة على ممارسة الاختيار الحر، عن طريق زرع إمكانية اختيار أي من البديلين في الإنسان، فقد جعل من حقه الخاص أن يختار. يكون ما يريد أن يكون، بحيث يمكنه، بفضل قدرته على الخير والشر، أن يفعل أيًا منهما بشكل طبيعي تمامًا ثم يوجه إرادته في الاتجاه الآخر أيضًا. فهو لا يستطيع أن يدعي أنه يمتلك الخير بمحض إرادته، إلا إذا كان من نوع المخلوق الذي يمكن أن يمتلك الشر. لقد أراد لنا خالقنا العظيم أن نكون قادرين على فعل أي منهما، لكنه في الواقع أراد أن نفعل شيئًا واحدًا فقط، وهو الخير، الذي أوصى به، مما يمنحنا القدرة على فعل الشر فقط حتى نتمكن من تنفيذ إرادته من خلال ممارسة إرادتنا. ولما كان الأمر كذلك، فإن هذه القدرة على فعل الشر هي أيضًا خير، وأقول خير، لأنها تجعل الجزء الخير أفضل بجعله طوعيًا ومستقلاً، غير مقيد بالضرورة، بل حرًا في أن يقرر بنفسه. ومن المؤكد أنه مسموح لنا أن نختار، ونعارض، ونوافق، ونرفض، وليس هناك سبب لتفضيل المخلوق العاقل على الآخرين إلا أنه بينما لا يملك الآخرون سوى الخير المستمد من ظروفهم وضروراتهم، فهو وحده يملك الخير من الإرادة الحرة".(١٠٣)

ويقول "بيلاجيوس": "إن معظم أولئك الذين، بسبب عدم الإيمان أو ضعف في المعرفة، يستنكرون مكانة الإنسان، ينتقدون – وأنا أخجل من الاعتراف بذلك – عمل الرب، ويؤكدون أنه كان يجب على الإنسان أن يكون مخلوقًا بحيث لا يستطيع أن يفعل شيئًا شريرًا على الإطلاق، ونحن حينئذ في موقف نقول فيه كما جاء في "رسالة الرسول بولس إلى أهل رومية": «٢٠بَلْ مَنْ أَنْتَ أَيُّهَا الإِنْسَانُ الَّذِي تُجَاوِبُ اللهَ؟ أَلَعَلَّ الْجِبْلَةَ تَقُولُ لِجَابِلِهَا: "لِمَاذَا صَنَعْتَنِي هكَذَا؟"»(١٠٤) وهؤلاء الرجال الأكثر وقاحة، بينما يخفون حقيقة أنهم يتعاملون بشكل جيد مع ما صنعوه، يفضلون أن يكونوا قد خلقوا بطريقة أخرى؛ وهكذا، فإن أولئك الذين لا يرغبون في تصحيح أسلوب حياتهم يبدو أنهم يريدون تصحيح الطبيعة نفسها بدلاً من ذلك، التي تم ترسيخ صلاحها في كل شيء حتى أنها تكشف عن نفسها أحيانًا وتلفت الانتباه حتى في الوثنيين الذين لا يعبدون إله.(١٠٥)

كما يذكر "بيلاجيوس" بقوله: "فكم من الفلاسفة الوثنيين سمعنا وقرأنا بل ورأينا بأنفسنا أنهم عفيفون، ومتسامحون، ومعتدلون، وكرماء، وخيرون، ويرفضون شهوات الحياة وملذاتها، محبين للعدل لا يقل عن حبهم للمعرفة، ولكن لي أن أسألك: هل هذه الصفات الطيبة يرضي الله أن تأتي إلى الرجال الغرباء عنه؟ ومن أين يمكن أن تأتيهم هذه الصفات الحميدة إلا إذا كانت من خيرية الطبيعة؟ وبما أننا نرى أن الصفات

(102) Pelagius: **A letter from Pelagius to Demetrias,** CAP. 3, Fr. 1, In, "B. R. Rees, The Letters of Pelagius and his Followers, Woodbridge, Boydell, 1991", p.p.15-45.

(103) Pelagius: Op. Cit. CAP. 3, Fr. 2.

(١٠٤) **رسالة الرسول بولس إلى أهل رومية**، الأصحاح التاسع، (٢٠).

(105) Pelagius: Op. Cit., CAP. 3, Fr. 4.

التي تحدثت عنها تحتوي إما الكل في شخص واحد أو عدة أشخاص، وبما أن طبيعة الكل واحدة، فإنهم من خلال مثالهم يظهرون لبعضهم البعض أن جميع الصفات الموجودة إما معًا في الكل أو منفردًا في كل واحد على حده. ولكن إذا كان البشر دون الله يستطيعون إظهار هذه الخيرية، فتأمل في ما يستطيع المسيحيون أن يفعلوه والذين أرشدهم المسيح طبيعتهم وحياتهم للأفضل والذين تساعدهم النعمة الإلهية أيضًا".(١٠٦)

ويخاطب "بيلاجيوس" الذات الإنسانية، بقوله: "دعونا نقترب من الأماكن السرية في نفوسنا، ودع الجميع يفحص نفسه بعناية أكبر، ودعونا نسأل ما هو رأي أفكارنا الشخصية في هذا الأمر، ودع ضميرنا نفسه يصدر حكمه على خيرية الطبيعة، دعونا نتعلم من التعليم الداخلي للعقل، ودعونا نتعلم من كل الصفات الخيرة للعقل من أي مصدر آخر سوى العقل نفسه، دعني أسألك: لماذا نخجل أو نخاف عند كل خطيئة نرتكبها، ونظهر ذنبنا لما فعلناه وتحمَّر وجوهنا وتشحُب وتصفَّر عند الإعتراف بذلك، ونحاول بفارغ الصبر تجنب أي شاهد على أصغر جرائمنا ومعاناتنا من آلام الضمير طوال الوقت؟"(١٠٧)

ويتابع "بيلاجيوس" تساؤلاته الجريئة بقوله: "لماذا نحن سعداء، حازمون، جريئون بعد كل عمل صالح نقوم به، وإذا كانت هذه الحقيقة مخفية عن الأنظار، فإننا لا نرغب أن تظهر في ضوء النهار؟؛ لأن الطبيعة نفسها تشهد لنفسها، وتكشف عن خيريتها من خلال رفضها للشر، ومن خلال وضع ثقتها في العمل الخير، تظهر ما يفيدها وحده، ويحدث في كثير من الأحيان عند حدوث جريمة قتل على الرغم من أنه كثيرًا ما تكون هوية القاتل غير معلومة، فإن عذابات الضمير تثير هجمات غاضبة على مرتكب الجريمة، والعقاب السري للعقل ينتقم من الرجل المذنب المختبئ؛ ولا مجال للإفلات من العقوبة بعد ارتكاب الجريمة، لأن الإحساس بالذنب هو عقوبة في حد ذاته. ولهذا السبب، يتمتع الإنسان البريء بسلام العقل الذي يأتي من الضمير حتى أثناء تعرضه للتعذيب، ورغم أنه يخشى العقاب، فإنه يفتخر ببراءته دائمًا".(١٠٨) وبهذا، يدلل "بيلاجيوس" على أن الإنسان خير بطبيعته وبفطرته، ولا يجد حرجًا في إظهارها للجميع، على عكس الخطيئة والأفعال الفاسدة التي يخجل الإنسان من الإفصاح عنها، وإظهارها، وهو ما يؤكد على أن الطبيعية الإنسانية خيرية في ذاتها، ما يلحق عليها من أثام لهو أثر من أثار الإرادة عندما تنحرف عن جادة الصواب.

ويقول "بيلاجيوس": "أعتقد أن هناك نوعًا من القداسة الطبيعية في أذهاننا، والتي، كما كانت في قلعة العقل، تحكم بالتساوي على كل من: الخير والشر، وكما أنها تفضل الأفعال الشريفة والمستقيمة، كذلك تدين الأفعال الخاطئة بفعل الضمير، فالقانون الداخلي هو ما يميز طرفًا عن آخر، كما أنه لا يسعى إلى خداعنا بأي نوع من الذكاء أو الذكاء المزيف في الحجة، ولكنه إما يُديننا أو يُدافع عنا من خلال أفكارنا نفسها، وهي، بالتأكيد الشهادة الأكثر موثوقية وغير القابلة للفساد.(١٠٩)

(106) Pelagius: **A letter from Pelagius to Demetrias**, CAP. 3, Fr. 4.
(107) Ibid, CAP. 4, Fr. 1.
(108) Ibid.
(109) Ibid, CAP. 4, Fr. 2.

ويطلب "بيلاجيوس" من "ديميتريـاس" أن تتوقف للحظات، وتتأمل بعناية عفة عقل "يوسف" (عليه السلام)، فعندما كان شابًا، كانت زوجة سيده مُغرمة به، وقاوَم محاولاتها تجاهه، ولم يتأثر بمراهقته، فبعد أن قاومها عدة مرات، قامت بنصب كمائن ليقع فيها، فأخذت تحثه على ارتكاب الفاحشة، إلا إنه رفض، ...، حتى نجى من الوقوع في هذا الشرك،(١١٠) ويقول "بيلاجيوس" :"لقد تعجبت من قوة عفة هذا الرجل، الآن أنظر إلى إحسانه، كان يقابل الكراهية بالحب، وعندما رأى إخوته – بل بالأحرى الأعداء الذين كانوا إخوته سابقًا –، وأراد لكي يتعرفوا عليه، شهد أنه كان يحبهم، ولم يستاء منهم، ...، وقابل كل واحد منهم بدموعه الذي أسكبها على رقابهم، وغسل كراهيتهم بدموع الحب، وأحبهم بالحب الأخوي الحقيقي خلال حياة والده وبعد وفاته. كما أنه لم يتذكر الحفرة التي ألقي فيها ليموت، ولم يفكر في الطريقة التي بيع بها من قبل إخوته بثمن، بل«[١٧]لاَ تُجَازُوا أَحَدًا عَنْ شَرّ بِشَرّ»(١١١) فقد تمم ما أمر به تعليم الرسول عندما كان لا يزال يخضع فقط لقانون الطبيعة".(١١٢)

ويتعجب "بيلاجيوس" بقوله: "ماذا أقول عن "أيوب" المبارك، ذلك الصبور عند الله، الذي انتزعت منه ثروته، ودمرت ممتلكاته، ومات أبناؤه وبناته جميعًا، وبعد كل هذا، ما زال يحارب ضد الشيطان، فقد أُخذ منه كل ما كان يمتلكه، وسلبت منه فجأة، حتى برزت ممتلكاته الحقيقية بوضوح؛ لقد ظهر كما لو كان مجردًا من جميع ثيابه الخارجية، ومع ذلك، كان قادرًا على الوقوف منتصرًا في عُرِيّهِ، ...، وهذه هي شهادة الرب نفسه عليه، حيث جاء في " **أَيُّوبَ**"(١١٣): «[٨]**فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: "هَلْ جَعَلْتَ قَلْبَكَ عَلَى عَبْدِي أَيُّوبَ؟ لأَنَّهُ لَيْسَ مِثْلُهُ فِي الأَرْضِ. رَجُلٌ كَامِلٌ وَمُسْتَقِيمٌ، يَتَّقِي اللهَ وَيَحِيدُ عَنِ الشَّرّ"**». ولم تكن هذه الشهادة غير مستحقة، لأنه، كان دائمًا يخاف الرب كالرياح العاتية فوقه، ولم يكن قادرًا على تحمل ثقل حضوره. ولم يجرؤ قط على الاستهزاء بمن يعتقد أنه حاضر معه دائمًا.(١١٤)

وهنا نلاحظ ذكر "بيلاجيوس" لكثير من الأنبياء والرسل وفقًا للكتاب المقدس، الذين قاوموا الخطايا والفساد، وذلك بفعل رجاحة عقلهم، وقوة إرادتهم، والنعمة الإلهية التي وهبها الله فيهم، حتى أصبحوا مثالًا يحتذى به، في الصلاح الأخلاقي، ولو أن هناك وراثة للخطيئة، لما تمكنوا من الصمود أمام هذه التحديات الكثيرة، وهو ما يثبت خيرية الإنسان الذاتية والمتغلغلة في بنية وجوده.

وذهب "بيلاجيوس" إلى أن بعد ما قلناه عن الطبيعة الإنسانية، فقد أظهرنا خيريتها بوضوح بأمثلة القديسين، وأثبتنا ذلك، وحتى لا يُظن أن خطأ الطبيعة هو أن البعض أثموا، بل سوف أستخدم أدلة من

---

(110) Pelagius: **A letter from Pelagius to Demetrias**, CAP. 5, Fr. 4.

(١١١) **رِسَالَةُ بُولُسَ الرَّسُولِ إِلَى أَهْلِ رُومِيَةَ**، الأصحَاحُ الثَّانِي عَشَرَ، (١٧).

(112) Pelagius: Op. Cit., CAP. 5, Fr.1.

(١١٣) **أَيُّوبَ**، الأصحَاحُ الأَوَّلُ، (٨). وأنظر أيضًا: «٣فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: «هَلْ جَعَلْتَ قَلْبَكَ عَلَى عَبْدِي أَيُّوبَ؟ لأَنَّهُ لَيْسَ مِثْلُهُ فِي الأَرْضِ. رَجُلٌ كَامِلٌ وَمُسْتَقِيمٌ يَتَّقِي اللهَ وَيَحِيدُ عَنِ الشَّرِّ. وَإِلَى الآنَ هُوَ مُتَمَسِّكٌ بِكَمَالِهِ، وَقَدْ هَيَّجْتَنِي عَلَيْهِ لأُبَتِلِعَهُ بِلاَ سَبَبٍ». **أَيُّوبَ**، الأصحَاحُ الثَّانِي، (٣).

(114) Pelagius: Op. Cit., CAP. 6, Fr. 1.

الكتب المقدسة، التي تلقي على الخطاة العبء الثقيل لتهمة إستخدام إرادتهم الخاصة، وفعل ذلك، ولا أعذرهم على تصرفهم إلا تحت ضغط الطبيعة.(١١٥)

ويقول "بيلاجيوس": "إننا لا ندافع عن خيريَّة الطبيعة إلى الحد الذي يجعلنا ندعي أنها لا تستطيع أن تفعل الشر، بل نعلن أنها قادرة على الخير والشر معًا؛ نحن نحاول فحسب حمايته من تهمة ظالمة، حتى لا نبدو وكأننا مجبرون على فعل الشر بسبب خطأ في طبيعتنا، في حين أننا لا نفعل الخير ولا الشر دون ممارسة إرادتنا، ودائمًا ما يكون لدينا الحرية في القيام بأحد الأمرين، والقدرة على القيام بأي منهم، ...، ولأننا جميعًا قادرون على فعل الشيء نفسه، ولكننا في الواقع نفعل أشياء مختلفة؟".(١١٦) فعندما نرى "الرغبة" و"عدم الرغبة"، و"الاختيار" و"الرفض"، فإن قوة الطبيعة ليست هي التي تعمل بل حرية الإرادة، حيث أن كل خير، كما هو الحال مع كل شر، يوصف بأنه اختياري.(١١٧)

كما أوضح "بيلاجيوس" أن البعض استغلوا فكرة فساد الطبيعة التى نادى بها "أوغسطين"، واعتبروها مبررًا لفعل الشر، لذلك ذهب فى رسالته إلى "ديميترياس" إنه بدلاً من أن نعتبر وصايا ملكنا العظيم ميزة، نصرخ إلى الله عن كسل واستخفاف فى قلوبنا، ونقول هذا صعب جدًا أو عسر ولا نستطع تنفيذه، نحن لسنا إلا بشر وتعوقنا ضعف بشريتنا، أنها حماقة عمياء وتجديف وقح، وكأننا ننسب إليه جريمة جهل مضاعف، وهي جهل بخليقته التى خلقها، وجهل بوصاياه التى أوصى بها، كما لو أنه نسى ضعف البشر مع أنهم خلقه، وفرض عليهم وصايا لا يستطعون احتمالها، وكأننا فى الوقت نفسه – غفر الله لنا – ننسب إلى الواحد البار الإثم والقسوة، أما فلأننا نظن أنه سيدين الإنسان عن أمور لا يستطع حيالها شيئًا، وكأننا "وهنا التجديف"، نرى الله ينشد تعذيبنا، ولا ينشد خلاصنا، وليس أحد يعرف مدى قوتنا أكثر مما أعطانا تلك القوة، إنه لم يشاء بأن يأمر بشئ مستحل لأنه بار وعادل، وهو لا يدين إنسانًا عن أمر ليس فى مقدوره تنفيذه"، ولهذا قاوم "بيلاجيوس" الاعتقاد بأن انحطاط الإنسان الأخلاقى مرجعه إلى قضاء الله المحتوم، وكان يرى أن هذا الاعتقاد يشجع الفساد، ويزيد من كسل الإنسان عن عمل الفضيلة، ليست الخطيئة مفطورة فينا، إنما تنمو بإستخدام الحرية. إننا نولد بلا فضيلة ولا رذيلة، ونمتلك القدرة على الخير والشر، وإنه سبب إنتشار الخطيئة فى العالم يرجع في المقام الأول إلى التربية والتعليم، ويرى أن الأعمال هى نتاج إرادة الإنسان، فهو وحده المسئول عن هذه الأعمال، وبناءً على ذلك فالخطيئة الوراثية مستحيلة الحدوث.(١١٨)

وأكد "بيلاجيوس" قائلًا: وجه انتباه ذهنك الآن إلى الكمال الأخلاقي، وعُدَّ نفسك لعيش حياة سماوية مقابل مكافأة سماوية؛ فلتشرق قداسة العذراء ليراها الجميع مثل النجوم، وتكشف عن حجم مستقبلها، ...، إن

---

(١١٥) راجع: «٥شِمْعُونُ وَلاَوِي أَخَوَانِ، آلاَتُ ظُلْمٍ سُيُوفُهُمَا. ٦فِي مَجْلِسِهِمَا لاَ تَدْخُلُ نَفْسِي. بِمَجْمَعِهِمَا لاَ تَتَّحِدُ كَرَامَتِي. لأَنَّهُمَا فِي غَضَبِهِمَا قَتَلاَ إِنْسَانًا، وَفِي رِضَاهُمَا عَرْقَبَا ثَوْرًا.» **سفر التكوين**، الأصحَاحُ التَّاسِعُ والأرْبَعُونَ، (٥، ٦).

(116) Pelagius: **A letter from Pelagius to Demetrias**, CAP. 8, Fr. 1.

(117) Ibid, CAP. 7, Fr. 1.

(١١٨) أباكير عبد المسيح: **البلاجيون**، ص ص ١٢، ١٣.

تقدمك في الخير أسهل لأنك لا تعيقك عادة الشر في ذهنك، ولا نخشى أن الرذائل ستبطئ تقدمك في الفضيلة والبذور الضارة التي زرعها الشيطان تقتل ثمار المسيح الناضجة. لأنه حتى أولئك الذين، بسبب عادة الخطيئة أطمسوا خيرية الطبيعة، يمكنهم أن يستردوا بالتوبة، وبتغيير أسلوب حياتهم المختار، في محو عادة تلو أخرى، ويتركون صفوف الأسوأ لهؤلاء.(١١٩) وبذلك، فقد آمن "بيلاجيوس" بأن الطبيعة البشرية يمكنها أن تبلغ ذروة الكمال لو شاءت ذلك، ومارست إرادتها الحرة في سبيله، واستند في رأيه إلى قول "السيد المسيح" في "إنجيل متى"(١٢٠): «٤٨فَكُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ كَامِلٌ». والرأي عنده أنه ليس من المعقول أن يطالب الله الإنسان بالكمال وهو يعلم سلفا أن تحقيق هذا الكمال أمر مستحيل.(١٢١)

ويشرح "بيلاجيوس" كيف توصل إلى هذا الاستنتاج بشأن الطبيعة البشرية، إن تكوين حكم على خيرية الطبيعة البشرية، تتمثل في خلق الله لها، لقد خلق الله العالم كله وكل الأشياء الخيرة فيه. فكم هو أفضل من خلق البشر، الذين من أجلهم خُلِقَ كل شيء آخر. لقد تم الإشارة إلى خيرية البشرية حتى قبل خلقها عندما أعدها الله على صورته ومثاله.(١٢٢)

وقد رأى "بيلاجيوس" **أن الله إذ يفرض على الإنسان الطهارة، فهو يفرضها لأنه يعلم أن بوسعه أن يحافظ عليها. وإلا لكان الله يأمر بما هو مستحيل**، وكان البيلاجيون يعلمون بكل وضوح أن المسيحي بوسعه بل ويجب عليه أن يصل إلى هذا الكمال التام. وهناك رهبان كثيرون من الشرق سعوا لتحقيق هذا الكمال في أنفسهم، واعتقدوا بأنهم نجحوا في ذلك بفضل معونة الله. ولكن أعلن "أوغسطين" أن مثل درجة الكمال هذه لا يمكن الوصول إليها، ويرد عليه "أوغسطين": "الله يأمر بالطهارة، وهو الذي يعطيها، وهو يأمر بها ناموسه، ولكنه يعطيها بنعمته، وهو ما جاء في "رِسَالَةُ بُولُسَ الرَّسُولِ الثَّانِيةُ إِلَى أَهْلِ كُورِنْثُوسَ":(١٢٣) «٦الَّذِي جَعَلَنَا كُفَاةً لأَنْ نَكُونَ خُدَّامَ عَهْدٍ جَدِيدٍ. لاَ الْحَرْفِ بَلِ الرُّوحِ. لأَنَّ الْحَرْفَ يَقْتُلُ وَلكِنَّ الرُّوحَ يُحْيِي».(١٢٤)

ويرى البيلاجيون أن الشهوة الجنسية أمر طبيعي في الإنسان، وإنها كانت موجودة في آدم قبل السقوط، وإنها كانت ستوجد فينا حتى لو لم يقع والدانا الأوليان في الخطيئة، ويروا أن المانويين كانوا على خطأ في تعليمهم أن الشهوة الجنسية هي شر وجد في الإنسان بواسطة الفاعل الأصلي للشر، وهكذا فسرت العداوة بين

(119) Pelagius: **A letter from Pelagius to Demetrias**, CAP. 17.

(١٢٠) **إنجيل متى**، الأصحَاحُ الْخَامِسُ، (٤٨).

(١٢١) رمسيس عوض: **الهرطقة في الغرب**، ص ٩٣.

(122) Pelagius, **Theological Anthropology**, Trans. Ed. J. Patout Burns, Philadelphia: Fortress Press, 1981, p. 41. **In**: "St. Clair, Craig, "**A Heretic Reconsidered Pelagius, Augustine, and "Original Sin"**, p. 8".

(١٢٣) **رِسَالَةُ بُولُسَ الرَّسُولِ الثَّانِيةُ إِلَى أَهْلِ كُورِنْثُوسَ**، الأصحَاحُ الثَّالِثُ، (٦).

(١٢٤) بي بورات: **تاريخ الروحانية المسيحية**، ص ص ٢٠٠، ٢٠١٠

الجسد والروح. أما "أوغسطين" فيرى أن الشهوة الجنسية مرض في طبيعتنا، وهي ضعف، وخزي، وبؤس، لقد اختبر "أوغسطين" في شبابه طغيان الشهوات والشرور التي كانت تؤلم روحه ونفسه، وكانت لديه ذكريات أليمة عن هذه الأمور، وكانت لدية فكرة متشائمة عن طبيعة الإنسان الساقطة.(١٢٥)

وبهذا، فقد دعى "بيلاجيوس" لرؤية متفائلة للإنسان وللطبيعة الإنسانية، بأنها مخلوقة نقية طاهرة، لم تلوث بعد، كما رفض الرؤية المتشائمة التي تقرر أن الإنسان مولود بطبيعة فاسدة، ويجب التكفير عن ذلك الفساد، والذي تبناه "أوغسطين"، وذلك في سياق فلسفته الخلاصية التي تجعل الخلاص ذاتيًا وليس خارجيًّا.

خامسًا: تأويل "بيلاجيوس" لمفهوم "النعمة الإلهية".

يُعد مفهوم "النعمة" Gratia من المفاهيم الأساسية في الجدل البيلاجي، وقد نشأت حول الأهمية العقائدية لهذا المفهوم ومكانته الرئيسية في اللاهوت المسيحي أدب لاهوتي ضخم، فكان "أوغسطين" وغيره من المعاصرين يشيرون باستمرار إلى البيلاجيين باعتبارهم "أعداء النعمة". فهل كان مفهوم "النعمة" يحمل معنى خيّرًا أم سيئًا في اللغة اليومية في ذلك الوقت؟ في الواقع إن كلمة Gratia لم تكن تعني "نعمة" بقدر ما تعني "محاباة"، وكان قد شرَّع الحكام ضد "النعمة"، وكانوا يهاجمونها مهما كان شكلها، باعتبارها عاملاً يُفسد المسار السليم للعدالة أو السلوك النزيه للأعمال الرسمية، وذلك لضمان عدم إحباط تأثير تشريعاتهم بسبب فساد أولئك الذين يتلخص عملهم في مراقبة احترام القانون. إن تأريخ القوانين التي تدين مفهوم "النعمة" ترجع رسميًا إلى عامي (٣١٦م) و(٣١٩م)، وجميع الإشارات إلى "النعمة" ترد في مخطوطات يرجع تاريخها إلى عامي (٣٦٠م) و(٤١٩م)؛ وتتزامن تلك الفترة مع الحياة النشطة لـ"بيلاجيوس"، ولعل من الأهمية بمكان، ملاحظة أن الهجمات على مفهوم "النعمة" لم تحدث على الإطلاق بعد عام (٤١٩م)، وهو العام الذي أعقب أول مرسوم إمبراطوري ضد "بيلاجيوس"، والأمر الأكثر غرابة هو أن أيًّا من التشريعات المناهضة لـ"بيلاجيوس"، ولا حتى المراسيم الحاسمة لعامي (٤١٨م) و(٤٢١م) لم تُدرَج في القانون، على الرغم من أن المسألة البيلاجية كانت لا تزال قضية حية في ذلك الوقت عندما وُضِع القانون. والنقطة الأخرى المثيرة للاهتمام بشأن المراسيم التي تهاجم مفهوم "النعمة" في المحاكم تعود إلى أصول غربية وليست شرقية، كما كان الجدل اللاهوتي حول النعمة من أصل غربي، حيث كان هناك اهتمامًا من قبل السلطة الإمبراطورية بانتشار النعمة في المحاكم آنذاك.(١٢٦)

وبالتالي، لا يوجد استنتاج يمكن استخلاصه، وهو أن كلمة "نعمة" فكانت تعني الفساد القضائي في المحاكم، والاحتيال الرسمي في الحياة العامة، وكانت كلمة "أعداء النعمة"، أيًّا كانت دلالاتها اللاهوتية، فكانت تعني "أعداء للفساد"، وهذا استنتاج ذو أهمية كبيرة في ضوء الظروف السياسية والاجتماعية التي

(١٢٥) بي بورات: **تاريخ الروحانية المسيحية**، ص ص ٢٠٥، ٢٠٦.

(126) N. L. Myres: **Pelagius and the End of Roman Rule in Britain**, p.p. 24, 25.

كانت السائدة. وبنهاية القرن الرابع مارس المسؤولون وخاصة القضاة وجباة الضرائب سلطة استبدادية على عامة الناس، والتي لا يمكن أن تكون ممكنة إلا في ظروف الاستبداد، وكانت أساليبهم وحشية وتعسفية، وكانت قوتهم تمنحهم كل الفرص لإشباع غرائزهم الدنيئة على حساب أولئك الذين كانوا خاضعين لسلطتهم.(١٢٧)

ولم يكن هناك ما ينذر بوقوع جدل في المستقبل إلا رد فعل "بيلاجيوس" العنيف على اعترافات "أوغسطين"، فكان "بيلاجيوس" يرى أن الصورة التي رسمها "أوغسطين" لعجز الإنسان الأخلاقي واعتماده التام على نعمة الله في النضال ضد الشر مثيرة للاشمئزاز، فقد قُدِمت صورة للعلاقة بين الله والإنسان وجدها غير لائقة بالطرفين، ومن المستحيل التوفيق بينها وبين أي فكرة عقلانية عن غاية الله من خلقه. وكان من غير المعقول أن يترك الله البشر في العالم دون أن يمنحهم القدرة على فهم غرضه والقوة اللازمة لتنفيذه. وأي شيء أقل من هذا كان بمثابة إنكار لصلاح الله وكرامة الإنسان. ولم يقلل "بيلاجيوس" من الصعوبات الأخلاقية التي تقف في طريق تحقيق الإنسان لحياة بلا خطيئة، وبالتالي، تحقيق غاية الله، لكنه كان يعتقد أنه إذا استخدم الإنسان هبات الله ونعمه المتمثلة في المعرفة والفهم بشكل صحيح، فمن الممكن أن يعيش حياة بلا خطيئة من خلال الممارسة المتعمدة لنعمة أخرى، آلا وهي الإرادة الحرة، وأنه في يوم الدينونة الأخير سيحدد مصيره، ليس من خلال تفضيل الله لأحد وعدم تفضيله لآخر، ولكن من خلال الإستخدام الذي قام به كل إنسان في هذا العالم لهذه النعم. ولا بد أن وجهات نظر مثل هذه كان لها تأثيرًا أخلاقيًا قويًا على أولئك الذين استمعوا إلى شرح "بيلاجيوس" لها، لأنه كان يترجم ببساطة إلى مصطلحات لاهوتية المثل الأعلى لكل إنسان لما يجب أن تكون عليه إدارة القانون البشري. فإن كل إنسان يكون لديه أقوى حافز ممكن للعيش حياة خيرة، فقد أصبحت الأخلاق هي المصلحة الذاتية العليا، وأصبح الصدق أفضل سياسة للجميع. فلماذا إذن أثارت عقيدة "بيلاجيوس" مثل هذه المعارضة العنيفة؟ لماذا وُصِف بأنه عدو خطير للإيمان المسيحي؟ ولماذا تم حظره هو وأتباعه في النهاية، وقمعهم من قبل السلطة الإمبراطورية؟(١٢٨)

لقد فهم "بيلاجيوس" معنى النعمة على أنها هبة الله للبشرية، والمتمثلة في الطبيعة الخيرة الحرة.(١٢٩) وكان يؤمن بأن مقدار النعمة الممنوحة للإنسان تقاس وفقًا لمستوى جدارته الشخصية، وذلك من خلال تجربة داخلية وليست خارجية.(١٣٠) فعندما ردَّ "بيلاجيوس" على اعترافات "أوغسطين"، بإحساسه بعجز الإنسان وقوة الله، إعتقد "أوغسطين" أن "بيلاجيوس" يريد أن يستبدل وقاحة العقل البشري محل العلم الإلهي المطلق كقوة

(127) N. L. Myres: **Pelagius and the End of Roman Rule in Britain**, p. 26.
(128) Ibid, p. 22.
(129) Annette H. M. Evans: **Augustine and Pelagius as a Cameo of the Dilemma between Original Sin and Free Will**, p. 9.
(130) Sylvain Bergeron: **Arianism and Pelagianism: Two Great Heresies of the Fourth and Fifth Centuries,** p. 1176.

توجيهية في الكون، ومطالبة الله بالانتباه إلى الجدارة البشرية، وهذا يعني إنكار لقدرة الله المطلقة.(١٣١) ويقول "بيلاجيوس": في هذا النضال الذي أنت على وشك خوضه، فليكن همك الرئيسي، وهدفك الأول من كل استعداداتك، هو تحقيق انتصار ساحق للفضيلة، وأن تقسم الولاء لجميع وصايا الله، وليس مجرد الابتعاد عن المحظورات، بل أيضًا لتحقيق ما أمر الله به، فإنه لا يكفيك أن تنهى عن المنكر، إذا امتنعت عن الخير، فليس العبد الذي يفعل المنهى عنه وحده هو الذي أهمل الله، بل أيضًا الذي لم يفعل ما أمر به، وجاء في إنجيل "متى"(١٣٢): «١٩كُلُّ شَجَرَةٍ لاَ تَصْنَعُ ثَمَرًا جَيِّدًا تُقْطَعُ وَتُلْقَى فِي النَّارِ».(١٣٣)

وقد توصل "بيلاجيوس" إلى نتيجة مفادها أن هناك إرتباط بين الحالة غير الأخلاقية لرجال الدين والنظرة إلى النعمة الإلهية التي تكررت عدة مرات في اعترافات "أوغسطين"، حيث قال "إذا أعطيت ما تأمر به، فأمر بما تريد". وقد فسر "بيلاجيوس" هذا النص والذي رأى أنه يدعو إلى جعل كل المبادرات في يد الله، وبالتالي، نفى أي ممارسة حرة لإرادة الإنسان، والمسئولية الشخصية. وذهب "بيلاجيوس" في كتابه "عن الطبيعة" On Nature إلى أن النعمة الإلهية لا يمكنها أن تُكمل قدسيتنا دون ممارسة إرادتنا الحرة. وأكد أن الطفل يولد بريئًا وخاليًا من الخطيئة، ونفى بشكل قاطع كون الخطيئة تنتقل عند الولادة.(١٣٤)

كان "جيروم" غاضبًا من آراء "بيلاجيوس" حول النعمة، كما رأى "أوغسطين" أن آراء "بيلاجيوس فاضحة وهرطقية، وكانت أقوى إنتقادات "أوغسطين" لـ"بيلاجيوس" هو ميله المبالغ في تقدير قوة الإنسان وقدرته؛ لتحقيق الخلاص بمفرده. لأن "أوغسطين" كان يرى أن الخلاص لا يتحقق إلا على يد المسيح، وقد فسر بشكل نقدي مجهودات "بيلاجيوس" على أنها محاولة متعمدة لإبعاد المسيح، والكنيسة عن المجتمع المجتمع.(١٣٥)

ويقول "أوغسطين": "رأينا البيلاجيين يركزون حول الاستحقاق البشري، فيدعون أن النعمة لا توهب إلا بقدر استحقاق الإنسان وثمنًا له، وأن الأبدية لا توهب إلا كأجزاء للأعمال البشرية. فهذا المفهوم تلفظه الكنيسة لأنه يحقر من عمل النعمة ويشوه عمل الفداء، إنما تؤمن الكنيسة بمحبة الله ونعمته المجانية، وأدلتهم على ذلك: عندما يقول الله "إرجعوا إليّ ... فأرجع إليكم"، قد يظن البيلاجيون أنهم يجدون هنا تبريرًا لفكرهم الذي يتقدمون به بمباهاة قائلين أن نعمته تعطي حب استحقاقنا، هذا الفكر مغاير لإيمان الكنيسة الجامعة وغريب عن نعمة المسيح، يجدر بالإنسان حين ينال استحقاقات صالحة ألا ينسبها لنفسه بل لله.(١٣٦)

---

(131) N. L. Myres: **Pelagius and the End of Roman Rule in Britain,** p. 23.

(١٣٢) **إنْجِيلُ مَتَّى**، الأصحَاحُ السَّابعُ، (١٩).

(133) Pelagius: **A letter from Pelagius to Demetrias**, CAP. 15, 1.

(134) Annette H.M. Evans: **Augustine and Pelagius as a Cameo of the Dilemma between Original Sin and Free Will,** p. 5.

(135) Sylvain Bergeron: **Arianism and Pelagianism: Two Great Heresies of the Fourth and Fifth Centuries**, p. 1176.

(١٣٦) أوغسطين: **النعمة والإرادة الحرة**، ص ص ٢٦، ٢٩.

ويتابع "أوغسطين" بقوله: "يقول البيلاجيون أن النعمة الوحيدة التي لا توهب حسب استحقاقات الإنسان هي نعمة غفران خطايا الإنسان، أما التي توهب في النهاية الحياة الأبدية، فهي تستند على استحقاقاتنا السابقة، ...، ويتجاسر البيلاجيون فيجزموا أن النعمة هي الطبيعة التي عليها جُبلنا، إذ لنا ذهن وعقل به نقدر أن نفهم، إذ نحن مخلوقون على صورة الله".(١٣٧) ويرد "أوغسطين" بقوله: "بأن هذه الطبيعة نحن نشترك فيها عامة حتى مع الأشرار وغير المؤمنين، أما النعمة فتأتي بالإيمان بيسوع المسيح لأن ليس الجميع لهم إيمان، ...، ولو أن الإيمان هو من فعل الإرادة الحرة وحدها وليس عطية من الله، فلماذا نصلي لأجل الذين لا يريدون أن يؤمنوا لكي يؤمنوا؟ ألا يكون هذا بالتأكيد باطلًا ما لم نؤمن إيمانًا كاملًا أن الله القدير يستطيع أن يغير الإرادات مضادة المقاومة للإيمان حتى نؤمن؟!"، فيظن البيلاجيون، أنهم يعرفون شيئًا عظيمًا حينما يؤكدون أنه ما كان الله يوهب الإنسان شيئًا لا يستطيع تنفيذه، فكيف يمكننا أن نجهل ذلك؟ لكن الله أمر ببعض الأمور التي لا نستطيع عملها حتى نعرف أننا محتاجون لسؤاله. وهذا هو الإيمان بعينه أن نحصل بالصلاة على ما يأمر به الناموس".(١٣٨)

فما أخاف "أوغسطين" هو أنه إذا كان بإمكان الشخص أن يكون بارًا، وإذا كان بإمكانه تجنب الخطيئة؛ فلن تكون هناك ضرورة مطلقة للمسيح ولا للكنيسة، وهو ما سيترتب عليه أن الإعلان المسيحي العالمي الذي ينص على أن البشرية كلها بحاجة إلى غفران المسيح للخطيئة سيكون خاطئًا بالضرورة.(١٣٩) وكان "أوغسطين" في قضية النعمة مقتنعًا بأن أولئك المحظوظين الذين تم انتخابهم من قبل الله هم فحسب الذين منحوا عطية الله، وعرفت هذه الفكرة باسم "نظريته في القدر"، واعتبرت هذه الفكرة مسيئة للغاية لأنها حكمت على جميع الآخرين بمصير اللعنة الأبدية.(١٤٠) ويقول "أوغسطين": "لقد ناقشت مناقضًا أولئك الذين يعارضون بعنف نعمة الله التي لا تنزع الإرادة البشرية بل تغيرها من إرادة شريرة إلى إرادة خير، بل وتسندها حتى تصير صالحة".(١٤١)

وتجدر الإشارة إلى أن "بيلاجيوس" كان على استعداد للاعتراف بأن الإنسان في احتياج إلى نعمة الله ومعونته، وذلك عندما أكد أن الاختيار بين السلوك الخير والسلوك الشرير مسئولية كل فرد، ولكن هذه كانت بالنسبة له قضية ثانوية. وإصرار "أوغسطين" على الأولوية القصوى للنعمة، وعلى عبثية الجهد البشري دون النعمة التي تمنحها الأسرار المقدسة، بدا له بمثابة إهانة للخير الذي يمنحه الله لكل إنسان.(١٤٢)

---

(١٣٧) أوغسطين: **النعمة والإرادة الحرة**، ص ص ٢٩، ٣٢.

(١٣٨) المصدر نفسه، ص ص ٥٣، ٥٤، ٥٨.

(139) Parker Haratine: **The Ancestral Sin is Not Pelagian**, p. 6

(140) Sylvain Bergeron: **Arianism and Pelagianism: Two Great Heresies of the Fourth and Fifth Centuries**, p. 1177.

(١٤١) أوغسطين: **مصدر سابق**، ص ٦٩.

(142) John Morris: **Pelagian Literature,** p. 56.

هل كان لمفهوم النعمة وفقًا لتصور "بيلاجيوس" بصرف النظر عن تداعياته اللاهوتية التي استكشفها "أوغسطين" تأثير على الأخلاق الاجتماعية في العصر الذي انهارت فيه الإمبراطورية الغربية؟[١٤٣] إن الروحانية المتزمتة عند "بيلاجيوس"، بمبالغتها في واجبات المسيحي، وادعائها الاستغناء عن الله، فإنه لم تدعم الكبرياء فحسب، بل أفسدت العلاقة بين الروح وخالقها، وهدمت كل عقيدة وولاء، قد أعلنت وفقًا لـ"جوليان الإكلانومي" تحرر الإنسان الكامل فيما يتعلق بالله. وبالكاد يكون ممكنًا أن يلجأ الإنسان إلى المسيح باعتباره فاديًا له، إذا لم تكن هناك خطيئة، إذا كان بإمكانه الحياة دون خطيئة، وعندئذ، لا يجب أن يكون هناك حديثًا عن الفداء أو الكفارة. ولن تكون للصلاة فائدة إذا كان المسيحي مكتفيًا بذاته، لأن هذا لن يكن سوى عمل من أعمال التواضع جاء وليد الشعور باتكالنا على الله، وليس عمل محبة واثقة نجمت عن الإحساس بالحاجة، وليس عمل لجوء ابن إلى أبيه السماوي كان الدافع إليه اختبارنا بصلاح الله. وهذا لا يمكن أن يكون أكثر من صلاة الفريسي المتغطرس الذي أخذ يسرد استحقاقاته أمام الله، ويطالب ببرود وبشكل رسمي مكافأته، وهكذا كانت في الواقع الصلاة التي اقترحها "بيلاجيوس" للأرملة "جوليانا" أم "ديمتريوس"، والتي وصلت صياغتها إلينا عن طريق "جيروم" و"أوغسطين".[١٤٤]

ومن المهم ليس بالنسبة لعلم اللاهوت فحسب، بل أيضًا للتاريخ الاجتماعي أن وجهة نظر "أوغسطين" في النعمة هي التي انتصرت، وأن وجهة نظر "بيلاجيوس" هي التي أدينت، ورغم الدعم القوي الذي ناله "بيلاجيوس" والتعاطف الواسع الذي أثارته آراؤه، لم تكن هناك أية فرصة لقبولها من قِبَل أصحاب المصالح الخاصة للنظام الاستبدادي.[١٤٥]

لقد قام "بيلاجيوس" بتأويل لمفهوم النعمة، كان في حقيقة الأمر تأويلًا ثوريًا، فلم يرفض "بيلاجيوس" النعمة، بل رفض كون النعمة متجسدة فحسب في المسيح والكنيسة، فالنعمة فيما يرى هي هبة يمنحها الله للبشر، ليس من أجل مغفرة الخطايا بل من أجل القدرة على فعل الخير، وذلك لوجود إرادة في كل إنسان توجهه لفعل ما يريد، وبالتالي، فالنعمة متحققة في كل إنسان ويمنحها الله لكل إنسان منذ بداية حياته حتى وفاته، وليس هبه تمنح من قبل الكنيسة، أو من قبل التجسد، و"بيلاجيوس" في هذا له هدف باطني من وراء هذا التأويل، والذي يتمثل في رفض الهيمنة الأيديولوجية الكنيسة على المسيحيين من ناحية، وتحقيق الخلاص والإستقلال الذاتي لكل البشر من ناحية أخرى.

سادسًا: أسس الإيمان الديني عند "بيلاجيوس".

إنه تقديم آراء أولئك الذين أُتهموا بالهرطقة في الكنيسة الأولى، فغالبًا ما يتم الاعتماد على الصورة التي رسمها خصومهم، ولكن في حالة "بيلاجيوس"، فإن الأمور مختلفة، وقد كتب "بيلاجيوس" رسالة بعنوان:

(143) J. N. L. Myres: **Pelagius and the End of Roman Rule in Britain**, p. 24.

(١٤٤) بي بورات: **تاريخ الروحانية المسيحية**، ص ص ١٩٧، ١٩٨.

(145) J. N. L. Myres: Op. Cit., p. 29.

"اعتراف الايمان" يرد فيها على إدانته بالهرطقة من قبل "إنوسنت" إسقف روما عام (٤١٧م). ويمنحنا كتاب "اعتراف الايمان" رؤية مباشرة للطريقة التي أدرك بها "بيلاجيوس" الجدل المحيط به، وعلى الرغم من أهمية هذا المصدر، فقد تم قبول حكم "أوغسطين" بأن كتاب "اعتراف الايمان" وثيقة مضللة.(١٤٦)

إن التصور الكلاسيكي للجدال هو أن "بيلاجيوس" كان وجهًا لوجه مع "أوغسطين"، ومن المدهش أن كتاب "اعتراف الايمان" لا يلائم هذا التصور، فكان خصم "بيلاجيوس" الرئيسي ليس "أوغسطين" بل "جيروم"، وهو يوجه إجاباته لانتقادات هذا الأخير، فينتقده أحيانًا بحده، ويتخذ كلماته أحيانًا أخرى كنقطة إنطلاق له، إلا أن الإشارات المباشرة لـ"أوغسطين" مفقودة. وعندما يزعم "أوغسطين" أن كتاب "إعتراف الإيمان" كان غامضًا ومضللًا، فإن حجته الرئيسية هي أن "بيلاجيوس" لم يُجب بوضوح على أسئلته، ولكن لم يكن "بيلاجيوس" يحاول الإجابة على "أوغسطين"، بل كان يجيب على "جيروم"، إن دور هذا الأخير في الجدل سعيًا إلى المواجهة مع "بيلاجيوس" معروف جيدًا، ونظرًا للطابع الخطابي غير العقلاني في بعض الأحيان لانتقاداته، فإن مساهمته في الجدل البيلاجي تحظى باهتمام أقل مقارنة بـ"أوغسطين"، وفي هذه المرحلة على الأقل رأى "بيلاجيوس" أن "جيروم" يمثل الخطر الأكبر وليس "أوغسطين".(١٤٧)

لقد آمن "بيلاجيوس" بحقيقة مفادها أن الطريقة الصحيحة لتمجيد الله في الجسد هي ممارسة الأعمال الصالحة، وينبغي لنا أن نتمسك بالله من خلال تنمية صورته فينا، وأشار إلى الحاجة إلى اتباع المسيح وتعاليم الله، وهي فكرة أساسية في تعليمه.و يشرح "بيلاجيوس" عبارة "فقط هم سيكونوا شعبي"، على أن الله موجود في الجميع بطبيعته، ولكن فقط في القليلين بإرادتهم، فقد جاء في "إِنْجِيلُ لُوقَا"(١٤٨): «٣٨وَلَيْسَ هُوَ إِلهَ أَمْوَاتٍ بَلْ إِلهُ أَحْيَاءٍ، لأَنَّ الْجَمِيعَ عِنْدَهُ أَحْيَاءٌ»، ويفهم "بيلاجيوس" شعب الله على أنه أولئك الذين هم خدامه حسب إرادتهم، وليس بحسب طبيعتهم، ومن الجدير بالملاحظة هنا أنه يستخدم التمييز بين الأحياء والأموات، ويوضح أنه يقصد بـ "شعب الله" و"معبد الله"، أولئك أصحاب القلوب النقية، وفي هذا السياق يتم تفسير "نظيف" كمرادف "بلا خطيئة"، ويصفهم بالقديسيين والمخلصين، وبالتالي، يرى إمكانية تحقيق القداسة أثناء وجودهم على الأرض، كما كان شائعًا في الكتابات الزهدية في ذلك الوقت.(١٤٩)

وقدَّم "بيلاجيوس" تعريفًا ثلاثيًا لله، الأول، وهو أن الله موجود في كل المخلوقات بسبب لا نهائيته، والثاني، يسكن الله بطريقة خاصة في القديسيين بسبب التقديس، والثالث، الله موجود في المسيح، بسبب إكتمال لاهوته، وفي هذا التعريف أقام "بيلاجيوس" ارتباطًا بين صورة هيكل الله وإشكالية حضوره.(١٥٠)

(146) P. J. Van Egmond: **A Confession without Pretence Text and Context of Pelagius' Defence of 417 AD**, PhD - Thesis - Research and graduation internal, Vrije Universiteit Amsterdam, 2013, p. 425.
(147) Ibid, p. 425

(١٤٨) **إِنْجِيلُ لُوقَا**، الأصحَاحُ الْعِشْرُونَ، (٣٨).

(149) Rafał Toczko: **The Image of Templum dei in Pelagius and Augustine**, Augustiniana 63 (1-4), Peeters Publishers, 2013, p. p. 234, 235.
(150) Ibid, p. 236.

ويقول: نؤمن بالله الآب ضابط الكل، خالق كل شيء، ما يرى وما لا يرى، ونؤمن بالرب يسوع الذي به خلق كل شيء. وابن الله الحقيقي، ليس مصنوعًا أو متبنى، بل مولود؛ جوهر واحد مع الآب، وهو ما يعبر عنه اليونانيون بالتجانس؛ وبطريقة مساوية للآب في كل شيء، حتى أنه لا يمكن أن يكون أقل شأنًا في الزمان أو الدرجة أو القوة؛ ونحن نعترف بأن المولود له نفس عظمة الذي ولده.(١٥١)

أما بالنسبة لموقفه من الثالوث، يرى "بيلاجيوس" أنه ليس هناك أي تدرج في الثالوث، لا شيء يمكن أن يسمى أعلى أو أقل، ولكن الإله كله متساو في كماله، فإن كل ما يقال عن شخص واحد، يمكن أن يكون مفهومًا جيدًا للأقانيم الثلاثة. وكما في الرد على "أريوس"، نقول إن جوهر الثالوث هو واحد، وأننا نملك إلهًا واحدًا في ثلاثة أقانيم، لذلك نتجنب معصية "سابيليوس"، ونميز بين ثلاثة أقانيم، ولا أقول إن الآب أب لذاته، ولا الابن ابن لذاته، ولا الروح القدس روح ذاته؛ ولكن هناك أقنوم واحد للآب، وآخر للابن، وآخر للروح القدس؛ لأننا لا نعترف بالأسماء فحسب، بل أيضًا بخصائصها، أو كما يعبر اليونانيون عنهم، بالأقانيم، أي الجواهر أو الطبائع.(١٥٢)

ورأى "بيلاجيوس" أن الآب لا يستبعد الابن أو الروح القدس، فالآب هو دائمًا آب، والابن هو دائمًا ابن، والروح القدس هو دائمًا الروح القدس؛ بحيث يكونان في الجوهر شيئًا واحدًا، ولكنهما يتميزان بالأشخاص والأسماء. ونقول إن ابن الله الذي ورث مع الآب والروح القدس الأبدية بلا بداية، اتخذ من "مريم" إنسان من طبيعتنا. والكلمة صار جسدًا، باتخاذه ناسوتًا، وليس بتغيير لاهوته.(١٥٣)

وصرح "بيلاجيوس" بأننا نؤمن بأنه يوجد في المسيح أقنوم واحد للابن، فيه جوهرين، أي من اللاهوت والناسوت الذي يتكون من جسد ونفس. وكما ندين "فوتينوس" Photinus الذي يرى أن المسيح مجرد إنسان. كما نرفض تجديف أولئك الذين يقولون إنه منذ وقت تجسده، كل ما يتعلق بالطبيعة الإلهية قد انتقل إلى الإنسان أو الناسوت، وأن كل الأشياء التي تنتمي إلى الطبيعة البشرية انتقلت إلى الله. ولكننا نعتقد أن طبيعتنا القادرة على الألم قد اتخذها ابن الله.(١٥٤)

ويقول "بيلاجيوس": نؤمن أن نفوسنا هي هبة من الله، وأنها مخلوقة. لعن الله أولئك الذين يقولون أن النفوس هي جزء من جوهر الله. ونُدين من يقول إن النفوس أخطأت في حالة سابقة، أو أنها عاشت في الأجرام السماوية قبل إرسالها إلى الأجساد، ونرفض تجديف القائلين: إن كل شيء مستحيل هو أمر من الله للإنسان. وأن وصايا الله لا يمكن أن يؤديها أي إنسان، بل يمكن لجميع الناس مجتمعين. ونحرم أيضًا الذين يقولون أن ابن الله قد كذب بحكم الجسد. وأنه بسبب الطبيعة البشرية التي اتخذها، لم يكن يستطيع أن يفعل

(151) Pelagius: "**Pelagius - Letter and Confession of Faith to Innocent I**", The Early Church Texts, Fr. 1, 2.
(152) Ibid, Fr. 5, 6.
(153) Ibid, Fr. 7, 8.
(154) Ibid, Fr. 9, 10.

كل ما يريد. وندين هرطقة جوفينيان، الذي يقول أنه في الحياة القادمة لن يكون هناك اختلاف في المزايا أو المكافآت؛ وأنه سيكون لدينا فضائل أو نعم لم نهتم بامتلاكها هنا.(١٥٥)

ويخاطب "بيلاجيوس" البابا موضحًا له ومعترفًا بإيمانه القويم: أيها البابا المبارك، إن إيماننا الذي تعلمناه في الكنيسة الكاثوليكية، والذي اعتنقناه ومازلنا نتمسك به. والذي، إذا كان هناك أي شيء تم التعبير عنه، ربما، دون حذر أو مهارة، فإننا نرغب في تعديله من قبلكم، أنتم الذين تحملون إيمان بطرس، وإذا تمت الموافقة على اعترافنا بحكم رسوليتك، فإن كل من لديه الرغبة في إلقاء اللوم عليَّ سيظهر، لستُ أنا مهرطقًا، بل الذي يديننى نفسه إما حاقدًا أو ليس كاثوليكيًا.(١٥٦)

ويتضح، أن "بيلاجيوس" أعلن إيمانه بالعقائد الأساسية للدين المسيحي، فقد أعلن إيمانه بالله، وبالأقانيم الثلاثة: الآب، والابن، والروح القدس، وعلاقة كل منهما بالآخر، فضلًا عن نقده للأفكار الهرطقية التي كانت منتشرة آنذاك، مؤكدًا على إيمانه القويم، وأن أفكاره لا تتعارض على الإطلاق مع أسس الإيمان المسيحي، وعند هذه المرحلة من الدراسة يجب الوقوف على ملامح الدعوة الإصلاحية عند "بيلاجيوس".

سابعًا: ملامح الإصلاح الديني والاجتماعي للفلسفة البيلاجية.

هل من الممكن التأكد من خلال الأدلة المباشرة من الفكرة القائلة بأن "بيلاجيوس" وأتباعه ربما كانوا يحاولون – وإن كان ذلك بشكل غير منظم – شن هجومًا على الفساد الاجتماعي المتأصل في النظام الذي كان سائدًا في ذلك الوقت، بدلاً من الشروع – كما أعلن "أوغسطين" – في هجوم سافر على أساسيات الإيمان المسيحي؟ ورغم أن أغلب معرفتنا بفلسفة البيلاجية تأتي بطبيعة الحال من الكتابات المعادية لها، وخاصة من: "جيروم"، و"أوغسطين"، و"أوروسيوس"، و"ميركاتور"، الذين كانوا جميعًا مهتمين بمهاجمة أفكاره من الناحية اللاهوتية، ولكن، حُفظت مجموعة كبيرة من كتابات الجيل الأول من البيلاجيين أنفسهم، وذلك في شكل رسائل وكُتيبات صغيرة، والتي اعتمد بقاؤها إما على عدم الكشف عن هويتها أو على نسبها بشكل خاطئ إلى مؤلفين أخرين.(١٥٧)

ولكي ندرك البعد الاجتماعي والكنسي للمناقشة اللاهوتية، لابد من الوقوف على السياق الذي تأثر فيه "بيلاجيوس" بـ "أوريجانوس"، أي مدينة روما التي عاش فيها من حوالي (٣٨٠م) إلى (٤١٠م). ففي عام (م٣٦٦) أسفر انتخاب البابا "داماسوس"Damasus (٣٠٥ – ٣٨٤م) عديد من القتلى، وقد لاحظ المؤرخ الروماني "اميانوس مارسيليانوس" Ammianus Marcellinus (٣٣٠– ٣٩٥م) أن المسيحيين تصرفوا مع بعضهم البعض بشكل أسوأ من الحيوانات البرية، هذا فضلًا عن الفساد الذي إنتشر آنذاك، ومن المعروف أن

(155) Pelagius: "**Pelagius - Letter and Confession of Faith to Innocent I**", Fr. 20: 24.
(156) Ibid, Fr. 26.
(157) N. L. Myres: **Pelagius and the End of Roman Rule in Britain**, p. 26.

رد فعل "جيروم" على فساد الكنيسة كان واضحًا، كما كتب "بيلاجيوس" بقوة عن ترف رجال الدين وفسادهم، ووصف بسخرية لاذعة التناقض بين تظاهر الصيام وحقيقة الولائم، وتظاهر العفة وحقيقة الخطايا.[١٥٨]

فعندما وصل "بيلاجيوس" إلى روما عام (٣٨٥م)، صُدم؛ لأن الأساقفة والكهنة اكتسبوا بسرعة ثروة وسلطة عظيمتين، والحالة المتدنية للأخلاق، وقد عبَّر عن ذلك، بقوله: "**هل تعتبره مسيحيًا ما لا يوجد فيه عمل مسيحي، ولا يوجد فيه سلوك صالح بل شر وإثم وجريمة، فهل تعتبره مسيحيًّا من يضطهد البائسين، ومن يثقل كاهن الفقراء، ويطمع في ممتلكات الآخرين، ويجعل من المسيحيين فقراء حتى يغني نفسه، ويفرح بالمكاسب التي تأتي بفعل الظلم، ويتغذى على دموع الآخرين**".[١٥٩]

وكان "بيلاجيوس" يصر على أن أتباعه هم المسيحيون الحقيقيون.[١٦٠] وقد ثار البيلاجيون على النظام الاجتماعي والسياسي الذي كان قد سمح بمثل هذا الظلم وشجعه، وكان كل تعليمهم عن علاقة الله بالإنسان قائمًا على مفهوم مفاده أن العدالة الإلهية لا يمكن أن تكون بعيدة عن الإنسان، وأنه لا يمكن أن يكون قد أمر الله البشر بطاعة قانون ليس لديهم القدرة على طاعته.[١٦١]

الآن، إذا كنا على حق في الاعتقاد بأن وراء الحركة البيلاجية بأكملها دعوة لتحقيق العدالة الاجتماعية، وثورة الروح البشرية ضد فساد المجتمع المعاصر، ورفضًا للروحانية، ولكن كيف يمكننا أن نفسر هذه الحقيقة غير العادية التي مفادها أن "أوغسطين" بقوته الفكرية الهائلة، وحماسه الصادق للصلاح، وخبرته الواسعة في الشؤون العامة، لم ير الأمر على الإطلاق من هذه الزاوية؟ وإذا لم يكن قد رأى الأمر على هذا النحو في الحقيقة، فإن هذه الحقيقة ذاتها تكشف بوضوح عن الداء المستعصي الذي أصاب الفكر السياسي، بل والضمير الاجتماعي في المجتمع آنذاك. ولكن ربما يكون من الأكثر مصداقية أن نفترض أن "أوغسطين" رأى النية الواضحة لتعاليم "بيلاجيوس"، لم يكن بوسعه أن يناقش القضية مع "بيلاجيوس" من ناحية الإصلاح الاجتماعي أو التطرف السياسي، حيث كانت المبادئ التي اعتقد أنها تنظم العلاقات بين الله والإنسان مغطاة بشكل يائس بغبار العاطفة البشرية. ويكمن أسس الإصلاح الاجتماعي عند "بيلاجيوس" في تأكيده المستمر على أن الخلط بين الهبة وما يسميه القانون والعقيدة، واستخدامه المستمر للتمييز بين العدالة الإلهية والعدالة البشرية. إن "بيلاجيوس" و"أوغسطين" كانا يعملان على مستويين مختلفين من الفكر، فكل من: "أوغسطين" و"جيروم" يشكوان مرارًا وتكرارًا من افتقار أقوال "بيلاجيوس" إلى الدقة، وهذا يعكس بوضوح إحجامه عن الانخراط في جدال على المستوى العقائدي، وهو ما شعر بأنه غير مناسب لجوهر تعاليمه.[١٦٢]

(158) Gerald Bostock: **The Influence of Origen on Pelagius and Western Monasticism**, p. 2.
(159) Annette H.M. Evans: **Augustine and Pelagius as a Cameo of the Dilemma between Original Sin and Free Will,** p. 5.
(160) D. K. Broadwell: **Was Vortigern a Pelagian?,** Roceedings of the Harvard Celtic Colloquium, Vol. 15, Department of Celtic Languages & Literatures, Harvard University, 1995, p. 110.
(161) N. L. Myres: **Pelagius and the End of Roman Rule in Britain**, p. 28.
(162) Ibid., p. 29.

كما أدان "بيلاجيوس" الفساد الأخلاقي في الكنيسة، وكتب قائلًا: "نحن ندعي الامتناع عن الأشياء المسموح بها، لكننا نفعل أفعالاً غير مسموح بها، نحن نهاجم الزواج، ونكره إخوتنا ... لا يوجد في أي مكان التواضع الحقيقي والبراءة والتقوى، بل توجد الحروب والمعارك والخلافات والعداءات والشقاق، ولا يوجد في الوقت ذاته أي رباط للسلام الحقيقي، ولا أي ملامح لعهد المحبة.(١٦٣)

من الواضح أن "بيلاجيوس" كان لديه وجهة نظر رصينة وواقعية لحالة الكنيسة؛ لم يكن ميالاً إلى التفاؤل السطحي المنسوب إليه أحيانًا. بل كانت وجهة نظره بشأن الفساد الكنسي مماثلة لوجهة نظر "جيروم" و"أميانوس"، وكان شعوره بالغضب بمثابة الحافز الأساسي لتطوير مبادئه اللاهوتية. ولكن هذه المبادئ تمثل حلاً للمشكلة التي تختلف اختلافًا كبيرًا عن تلك التي طرحها "جيروم"، وقد سعى "جيروم" إلى موازنة الفساد الأخلاقي في الكنيسة من خلال الزهد المتطرف والنخبوي. وعلى النقيض من ذلك، كان "بيلاجيوس" يبحث عن وسيلة يمكن أن تكون مقبولة للكنيسة بأكملها. وانتقد التعلق الجامح بالكنيسة، ودعى كما دعى "جيروم" إلى التمتع الطبيعي بخلق الله، وسعى إلى إرساء زهد معتدل، كما يمكن أن نرى في نصيحة "بيلاجيوس" إلى "ديميتريا": "الاعتدال هو الأفضل في كل شيء، ...، يجب التحكم في الجسد، وليس كسره". وكان هدف "بيلاجيوس" هو إرساء مبادئ أخلاقية وروحية يمكن للجميع مراعاتها. لقد كان مهتمًا بنشاط بكل شعب الله، ومن المهم أنه عندما انتقد فساد الكنيسة، فقد حدد هويته بالكنيسة، قائلاً، "إن الكنيسة هي التي تدين بالجميل، وهي التي تدين بالجميل، وهي التي تدين بالجميل".(١٦٤)

ولم يكن "بيلاجيوس" يستمتع بالتفوق السهل الذي ينجم عن الإدانة الأخلاقية، بل كان يستمتع بألم التماهي مع الإنسانية الخاطئة. ولم ينسحب من العالم، ويجلده بالشتائم اللاذعة. ولم يكن نبياً للفردية الأنانية، كما افترض البعض، بل كان مدافعًا عن الإصلاح المؤسسي، فكانت البيلاجية في الأساس حملة أخلاقية كان هدفها، كما أدرك أوغسطين، "إشعال النفوس الباردة والخاملة من خلال الحث المسيحي على عيش حياة صالحة". وكان "بيلاجيوس" يرغب في تأسيس كنيسة مقدسة يكون فيها قانون واحد للجميع، لأنه لا يمكن أن يكون هناك معيار مزدوج يحكم شعب واحد، ولو كان "بيلاجيوس" قد بشر بإمكانية الكمال لقلة من الناس، لما كان هناك حدث أي جدل. ولكن عندما يئس "جيروم" من عالم منغمس في الفساد الأخلاقي، كان "بيلاجيوس" مصممًا على تحويل البشرية وأثار أزمة عميقة في الكنيسة بدعوته إلى الإصلاح المؤسسي. وفاز "بيلاجيوس" بجزء كبير من الأرستقراطية الرومانية التي كانت تصل إلى أعلى مستويات المجتمع آنذاك، وكان يحظى باحترام كبير في مدينة روما.(١٦٥)

(163) Pelagius: **De Malis Doctoribus,** 11, 1 (PLS 1, 1434-5). In: "Gerald Bostock: The Influence of Origen on Pelagius and Western Monasticism, p. 2".

(164) Gerald Bostock: **The Influence of Origen on Pelagius and Western Monasticism**, p. 2.

(165) Ibid, p. 3.

كما أن وجهة نظر "بيلاجيوس" من شأنها أن تقوض مفهوم الخلاص للكنيسة الرومانية، الذي دعى له "أوغسطين"، والذي رأى هذا الأخير أن الخلاص يتحقق فحسب داخل الكنيسة الرومانية، ولا خلاص خارجها، واعتبر أن "بيلاجيوس" يقوض الانتشار العالمي لمسيحيتهم الإستبدادية، وأدركت الكنيسة الرومانية أن انتشار أفكار "بيلاجيوس" يمنع إنشاء كنيسة عالمية.(١٦٦)

ولا يمثل الخلاف بين "أوغسطين" و"بيلاجيوس" خلافًا جذريًّا في طبائعهما فحسب بل يمثل أيضًا الفرق بين العقلية الشرقية والعقلية الغربية، فـ"أوغسطين" القادم من شمال أفريقيا يمثل جنوح الشرق إلى التأمل اللاهوتي في حين أن "بيلاجيوس" القادم من روما يمثل انشغال الغربيين بالجوانب العملية من العقيدة المسيحية، وبالبحث في طبيعة الإنسان بدلًا من انصراف الشرقيين إلى البحث عن طبيعة الله.(١٦٧) وقد أدرك "بول ريكور" Paul Ricœur (١٩١٣– ٢٠٠٥م) أن البيلاجية لها أثار جذرية على المسيحية الأرثوذكسية، وعقيدة "بولس" في النعمة، وقد أخطأ "أوغسطين" بسبب القراءة الحرفية في إعتبار آدم هو أول فاعل للخطيئة. وقد خدم الجدل البيلاجي في إبراز التوترات والصراعات الخفية داخل التقاليد المسيحية.(١٦٨)

واليوم، يعتبر "بيلاجيوس" نموذجًا يتم التعاطف معه، وخاصة من قبل اللاهوتيين البريطانيين، الذين يريدون بوضوح الدفاع عن زميلهم الذي ينتمي إليهم. ويُعتقد في بعض الأحيان أنه يمثل نوعًا من الليبرالية المبكرة، ذو فكر متفائل نحو البشرية دفعته إلى معارضة فكرة "أوغسطين" المتشائمة عن الخطيئة الأصلية، إلا أن الفكر اللاهوتي لـ"بيلاجيوس" كان أكثر سلبية مقارنة بـ"أوغسطين"، فتأكيده لم يكن أكثر من قدرة البشر على الحياة وتحمل مسئولية الأفعال، فتعليمه يمكن أن يعد نوعًا من "التطهير الأخلاقي"، وهو رفض شديد الصرامة لأي نوع من عدم الكمال في الكنيسة، ولو أن "بيلاجيوس" إلتزم بطريقه، لكان مقدرًا للكنيسة أن تكون مجتمعًا صغيرًا جدًا، مكونًا بالكامل من الرهبان، إلا أن إيمان "أوغسطين" بالقوة الخلاصية للنعمة الإلهية تجعله في نهاية المطاف مفكرًا أكثر تعاطفًا من "بيلاجيوس".(١٦٩)

كما يلاحظ "بيري ويل" إن البيلاجية ليست واحدة من تلك البدع عديمة الحياة، والتي لا تثير اهتمامًا أكثر من حقيقة أنها استحوذت ذات يوم ولفترة قصيرة على العقول، إن تأكيد "بيلاجيوس" على حرية الإرادة وإنكاره للخطيئة الأولى، يمثلان رد فعل للوعي الأخلاقي ضد هيمنة الوعي الديني، إن وجهة نظر "بيلاجيوس" لها أهمية حقيقية بالنسبة لنا في الوقت الحاضر، ومعظمنا لديه ميل يجعلنا نميل إلى الاعتقاد بأنه كان على حق، ومع ذلك، فإن قادة الكنيسة في القرن الرابع كانوا ضده.(١٧٠)

---

(166) Annette H.M. Evans: **Augustine and Pelagius as a Cameo of the Dilemma between Original Sin and Free Will**, p. 6.

(١٦٧) رمسيس عوض: **الهرطقة في الغرب**، ص ص ٩٢، ٩٣.

(168) Annette H.M. Evans: Op. Cit., p p.7, 9.

(١٦٩) جوناثان هيل: **تاريخ الفكر المسيحي**، ص ص ٨٣، ٨٤.

(170) Alex. Souter**: The Commentary of Pelagius on the Epistles of ST. Paul,** p. 458..

لم تكن أخلاق "بيلاجيوس" عقلانية وإنسانية فحسب بل كانت فردية، مشبعة بالتعاطف الذي نطلق عليه اليوم مصطلح "الليبرالية"Liberalism. وليس من قبيل المصادفة أن نؤكد أفكار "بيلاجيوس" الرائدة في أزمة الإصلاح، بعد ألف عام، عندما كاد اسمه أن يُنسى، وليس من قبيل المصادفة تمامًا أن تجد هذه الأفكار ترحيبًا حارًا، في القرن السادس عشر كما في القرن الرابع، في أقصى شمال أوروبا.(١٧١)

وقد أعلن "جون ويسلي" (١٧٠٣-١٧٩١ م) في دفاعه عن "بيلاجيوس" في القرن الثامن عشر أن "بيلاجيوس" أتُهم ظلمًا بأنه هرطقي من قبل الكنيسة الكاثوليكية الرومانية. حيث قال: "إذا كان الهرطقي هو الشخص الذي يؤكد على حقيقة واحدة مع استبعاد الحقائق الأخرى، فسيبدو على أي حال أنه ليس هرطقيًا أكثر من "أوغسطين". وعلى النقيض من ذلك، قدم العالم الإنجليزي "جيه بي موزلي" نقدًا لـ"بيلاجيوس" وعقيدته، حيث زعم أن "الخطأ الفلسفي لـ"بيلاجيوس"، "كانت العقيدة البيلاجية هي أنها اعتمدت على الأفكار دون النظر إلى الحقائق". ردًا على تعليق "موزلي"، سارع "جون فيرجسون" إلى الإشارة إلى أن "بيلاجيوس" تفوق على "أوغسطين" من خلال الحفاظ على اعتقاد قوي فيما يتعلق بالمسؤولية الشخصية. فبدلاً من الاعتماد على الله لمغفرة الخطايا كما اعتقد "أوغسطين"، رأى "فيرجسون" في البيلاجية فرصة لاكتساب معرفة الذات والنضج والنمو الروحي.(١٧٢)

وبهذا، علينا أن ندرك أن قوة الفلسفة البيلاجية يمكن أن تقاس في حقيقة الأمر في ضوء السياقات التي نشأت فيها، فتلك الأفكار الخلاصية التي نادى بها بيلاجيوس تمثل في حقيقة الأمر ثورة ضد الهيمنة التي كانت سائد في عصره، على المستويين اللاهوتي والكنسي على حد سواء، وطرحه لفلسفة الخلاص الذاتي التي تعلي من الأنثروبولوجيا المسيحية في مواجهة الحتمية اللاهوتية والكنسية تجعله يقف على مرتبة واحدة مع فلاسفة عصر التنوير والفلاسفة المحدثين والمعاصرين.

(171) John Morris: **Pelagian Literature**, p. 56.

(172) Sylvain Bergeron: **Arianism and Pelagianism: Two Great Heresies of the Fourth and Fifth Centuries**, p. ١١٧٧.

نتائج الدراسة

- **من أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال تناولي لهذا الموضوع ما يلي:**

١. يمثل الجدل البيلاجي واحدًا من المناظرات الفكرية الرائدة في فلسفة العصور الوسطى الأوربية التي ناقشت أهم القضايا اللاهوتية بلغة فلسفية قلما نجد مثيلها في تاريخ الفكر الفلسفي، وقد كان محور هذه المناقشات أهم القضايا الدينية، والتي لا تزال تشغل حيزًا كبيرًا من المناقشات الدينية والفلسفية على حد سواء، والتي كان من أهمها: حرية الإرادة الإنسانية، ونقد الخطيئة الأولى، وخيرية الطبيعة الإنسانية، وتأويل مفهوم النعمة.

٢. يمثل "بيلاجيوس" أحد أهم الفلاسفة الذين ثاروا على الهيمنة الكنسية واللاهوتية التي كانت سائدة في القرن الرابع الميلادي في الكنيسة الرومانية، حيث ثار على الطغيان الإنساني، والديني، والاجتماعي، والاقتصادي الذي كان يهيمن على المجتمع آنذاك.

٣. لقد نجح "بيلاجيوس" في دعوته الدينية الفلسفية في إمكانية تحقيق الخلاص ذاتيًا؛ أي أن يكون الإنسان هو فحسب من يملك المسئولية كاملة على أفعاله، ويتحمل مسئوليتها، والنتائج المترتبة عليها، وبهذا يكون "بيلاجيوس" مبشرًا بالفلسفة الأنثروبولوجية التي تعلي من مكانة الإنسان في ضوء اللاهوت المسيحي.

٤. لقد دعى "بيلاجيوس" إلى حرية الإرادة الإنسانية بشكل مطلق، وأنه سيد قراراته وأفعاله، وذلك يمثل ثورة على الحتمية اللاهوتية التي دعى لها "جيروم" و"أوغسطين"، وأن الإنسان ما هو إلا دُمية في يد الله يحركها كيفما شاء، وأن البشر قدرهم مقدر لهم، وما عليهم إلا أن يسيروا في فلكه.

٥. لقد هاجم "بيلاجيوس" عقيدة الخطيئة الأصلية"، تلك الخطيئة التي ارتكبها "آدم" بفعل إغواء حواء، والتي أغواها الشيطان الذي تمثل في شكل حية، وبسبب تلك الخطيئة فقد توارثها البشر، وعليهم التكفير عنها، فقد ثار "بيلاجيوس" على تلك الخطيئة ورأى أن "آدم" أخطأ وعاقبه الله على خطأه، وأنزله من السماء إلى الأرض، وأن البشر يولدون بلا خطيئة، مثل آدم نفسه، وأن خطيئة آدم تم التكفير عنها بنزول آدم من السماء إلى الأرض، وبالتالي، فالطبيعة البشرية هي طبيعة نقية خيرة في حقيقة الأمر.

٦. لقد قدم "بيلاجيوس" تأويلًا ثوريًا لمفهوم النعمة، فالنعمة لا تتجسد عند في الكنيسة أو في تجسد المسيح، وإنما النعمة لديه موجود عند كل إنسان والتي تتمثل في إرادته الحرة التي من خلالها يكون لدية القديرة على تنفيذ ما يريده من أفعال؛ ليحساب عليها في الحياة الأخرى.

٧. تمثل فلسفة "بيلاجيوس" دعوة إصلاحية للمجتمع آنذاك، فهي في حقيقة الأمر تمثل إصلاحًا للحياة الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، ويعد أبًا للنزعة الإصلاحية التي دعى "بيتر أبيلارد" في فلسفة العصور الوسطى، و"مارتن لوثر" في حقبة الإصلاح الديني، و"بول ريكور" في الفلسفة المعاصرة.

٨. إن السياقات التي كانت سائدة في القرن الرابع عشر، والتي اتسمت بالتفكك قد تكون سببًا دفع كلًا من: اللاهوتيين وخاصة "جيروم" و"أوغسطين" في تبنيهم للنزعة اللاهوتية الحتمية، إلا أنهم ساروا فيها بشكل فج، وضحوا بالإنسان على مزبح الهيمنة الكنسية.

٩. لقد تمركزت الفلسفة في العصور الوسطى عامة والفكر المسيحي خاصة على الله، أو حول مفهوم الألوهية، حيث جعل اللاهوتيون آنذاك كل أفكارهم تدور حول اللاهوت، أما "بيلاجيوس" فقد إنتهج منهجًا مغايرًا تمامًا بأن جعل مركز فلسفته هو الإنسان، وهو ما يذكرنا بسقراط في الفلسفة اليونانية الذي حوَّل إتجاه الفكر من دراسة الطبيعة إلى دراسة الإنسان.

١٠. لقد استطاع "بيلاجيوس" في تأسيس فلسفة أنثروبولوجية متحررة من كل هيمنة لاهوتية، فجعل الإنسان حجر الزاوية في فلسفته الدينية، ورغم آراء بيلاجيوس التحررية، إلا إنه لم يكن مهرطقًا أو ملحدًا، بل أعلن إيمانه القويم الذي يتفق والعقل الطبيعي من ناحية والفطرة الإنسانية من ناحية ثانية، وما يقره الكتاب المقدس من ناحية ثالثة.

١١. إن العصر الذي عاش فيه "بيلاجيوس" هو نفس العصر الذي عاش فيه "جيروم" و"أوغسطين"، ورغم ذلك إلا أن آرائهما جائت متباينه في الوسائل إلا أنها متفقة في الغايات، فغاية الجميع هي تحقيق الإيمان المسيحي القويم وكذلك تحقيق الإستقرار السياسي في ذلك الوقت، إلا أن "جيروم" و"أوغسطين" فقد رآيا أن ذلك يتحقق بالخضوع للكنيسة لأنها التي تملك الخلاص الذي ورثته من السيد المسيح، وهي فحسب التي لديها القدرة على تحقيق الإيمان والإستقرار الديني والسياسي على حد سواء، أما "بيلاجيوس" فرغم أن هذا هو هدفه بالفعل، إلا أنه رأي أن أفضل وسيلة لتحقيق ذلك آلا وهو تحقيق الإستقلال والخلاص الذاتي بفعل الإرادة الحرة المستقلة، فصناعة القرار وتنفيذ الفعل ذاتيًا هما ما سيحققان غاية الإيمان والدولة المسيحية.

- **أما بالنسبة لتوصيات الدراسة، فمن أهمها:**

١. توصي الدراسة بعمل دراسات أكاديمية متخصصة في القضايا الجدلية التي اهتم بها "بيلاجيوس"، ومناظراته مع "جيروم" و"أوغسطين" بشكل مفصل، فالحروب الجدلية التي وجدت في عصر "بيلاجيوس" تمثل نموذجًا للحروب الفكرية بين الإتجاه الأنثروبولوجي المتحرر والإتجاه اللاهوتي الكنسي الحتمي.

٢. كما توصي الدراسة بتناول الجانب التنويري لفلسفة العصور الوسطى الأوربية، والتي ساد الاعتقاد بأنها فلسفة لاهوتية ظلامية لم تهتم بالقضايا الفلسفية على الإطلاق، وكان "بيلاجيوس" أحد الفلاسفة التنويريين في تلك الحقبة التاريخية.

٣. توصي الدراسة بعمل دراسات حول تلاميذ بيلاجيوس الذين شكلوا الملامح الأساسية للفلسفة البيلاجية، وكذلك الفلسفة شبه البيلاجية، للوقوف بدقة على أوجة الاتفاق والاختلاف بين كل منهم وبين الأفكار اللاهوتية التي كانت سائدة آنذاك.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا: قائمة المصادر:

1. Pelagius, (1991), ***A letter from Pelagius to Demetrias***, (p.p.15-45), In, "B. R. Rees, The Letters of Pelagius and his Followers, Boydell: Woodbridge,". *https://epistolae.ccnmtl.columbia.edu/*
2. Pelagius, (1981), ***Theological Anthropology***, Trans., Ed. J. Patout Burns, Philadelphia: Fortress Press.
3. Pelagius, (1993), **Pelagius's Commentary on St. Paul's Epistle to the Romans**: Trans., Intro. and Notes, Theodore De Bruyn, Clarendon Press, Oxford, England.
4. Pelagius: "***Pelagius - Letter and Confession of Faith to Innocent I***", The Early Church Texts.
https://earlychurchtexts.com/public/pelagius_letter_and_confession_to_innocent.htm

ثانيًا: قائمة المراجع.

- المراجع العربية.

٥. أباكير عبد المسيح، (د. ت)، ***البلاجيون*** (بدعة بيلاجيوس)، سلسلة البدع والهرطقات، (١٢)، (ص ص١: ١٦).
https://coptic-treasures.com/

٦. أبو عبيد البكري، (١٩٩٢م)، ***المسالك والممالك***، الجزء الأول، (د. م): دار الغرب الإسلامي.

٧. اميل برهييه (١٩٨٨م)، ***تاريخ الفلسفة، الجزء الثالث، العصر الوسيط والنهضة***، ترجمة جورج طرابيشي، ط٢، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر.

٨. أوريجانس، (٢٠٠٣م)، ***في المبادئ***، عربه وقدم له وعلق عليه ونقحه الأب جورج خوام البولسي، الفكر المسيحي بين الأمس واليوم (٣١)، بيروت: منشورات المكتبة البولسية.

٩. أوغسطينوس، (١٩٩١م)، ***الإعترافات***، التراث الروحي، نقلها إلى العربية الخوري يوحنا الحلو، ط ٤، بيروت: دار المشرق.

١٠. أوغسطين، (١٩٩٥م)، ***النعمة والإرادة الحرة***، بيروت: المكتبة المسيحية.

١١. بي بورات، (٢٠١٢م)، ***تاريخ الروحانية المسيحية***، الجزء الأول، من زمن يسوع المسيح حتى فجر العصور الوسطى، ترجمة تكلس نسيم سلامة، مراجعة وتحرير محمد حسن غنيم، القاهرة: مكتبة دار الكلمة.

١٢. جوناثان هيل، (٢٠١٢م)، ***تاريخ الفكر المسيحي***، ترجمة سليم اسكندر ومايكل رأفت، القاهرة: مكتبة دار الكلمة.

١٣. رمسيس عوض، (١٩٩٧م)، ***الهرطقة في الغرب***، القاهرة: مؤسسة الإنتشار العربي.

١٤. سيداروس اليسوعي، (٢٠١٥)، ***الأنثروبولوجيا المسيحية***، (٢)، الإنسان بين زلته وخلاصه، بيروت: دار المشرق.

١٥. هنري تشادويك، (٢٠١٦م)، ***أوغسطينوس***، مقدمة قصيرة جدًا، ترجمة أحمد محمد الروبي، مراجعة هاني فتحي سليمان، القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.

١٦. هيرونيمس، (٢٠٠٨م)، ***رسائل هيرونيمس***، التراث الروحي، الجزء الثاني، (٦٨ – ١٥٠)، أعدها وقدم لها ووضع حواشيها سعد الله سميح جحا، بيروت: دار المشرق.

- المراجع الأجنبية.

17. A. J. Smith, (1918), ***The Latin Sources of the Commentary of Pelagius on the Epistle of ST. Paul to the Romans,*** Part II, The Journal of Theological Studies, Vol. 20, No. 77, Oxford University Press, (pp. 55-65).
18. Annette H. M. Evans, (2021), ***Augustine and Pelagius as a Cameo of the Dilemma between Original Sin and Free Will***, Scriptura, 120, 2021:1, (pp. 1-12).
19. Craig Clair, (2004), ***A Heretic Reconsidered Pelagius, Augustine, And "Original Sin",*** *School of Theology and Seminary Graduate Papers/Theses. 4.*
20. D. K. Broadwell, (1995), ***Was Vortigern a Pelagian?****, roceedings of the Harvard Celtic* Colloquium*, Vol. 15, Department of Celtic Languages & Literatures, Harvard University, (pp. 106-116).*
21. Eugene Teselle, (1988), ***Pelagius: A Reluctant Heretic***, by B. R. Rees, Woodbridge: Boydell & Brewer Ltd.
22. Gerald Bostock, (1997), ***The Influence of Origen on Pelagius and Western Monasticism,*** Origeniana Septima, Proceedings of the seventh Origen Conference Hofgeismar 25 – 29, (pp. 381-396).
23. Giulio Malavasi, Anthony Dupont, (2022), ***When Did Caelestius Become Known as a Disciple of Pelagius?,*** Reassessing the Sources, Journal of Early Christian Studies 30. 3, Johns Hopkins University Press, (pp. 343–71).
24. J. B. Bury, (1904), ***The Origin of Pelagius***, Hermathena, Vol. 13, No. 30, Trinity College Dublin, (pp. 26-35).
25. J. N. L. Myres, (1960), ***Pelagius and the End of Roman Rule in Britain***, The Journal of Roman Studies, Vol. 50, Parts 1 and 2, Society for the Promotion of Roman Studies, (pp. 21-36).
26. J. R. Lucas, (1971), ***Pelagius and St. Augustine***, the Journal of Theological Studies, New Series, Vol. 22, No. 1, (pp. 73-85).
27. John Morris, (1965), ***Pelagian Literature***, The Journal of Theological Studies, new series, Vol. 16, No. 1, Oxford University Press, (pp. 26-60)
28. Juuinner Kasingku, (2021), ***Augustine and Pelagius view on Salvation: Salvation by Grace or Works,*** Klabat Theological Review, Vol. 2, No.1, (p.p. 53- 63.)
29. L. W. Barnard, (1968), ***Pelagius and Early Syria Christianity***, Recherches de théologie ancienne et médiévale, Peeters Publishers, Vol. 35, (pp. 193-196).
30. Luiz Carlos Mariano Da Rosa, (2023), ***On sin as a rational symbol between Pelagius and Augustine, according to Paul Ricoeur: on will as the locus of freedom and responsibility,*** Cuadernos de Teología, UCN, vol. 15, núm.1, Universidad Católica del Norte (Chile), (pp. 1-18).
31. Margaret Schatkin, (1970), ***Four Letters of Pelagius by Robert F. Evans,*** Review, Source: Classical Philology, Vol. 65, No. 4, The University of Chicago Press, (pp. 287-288).
32. Mowbray Allan, (2012), ***Augustine the Semi-Pelagian***, Augustiniana, Vol. 62, No. 3/4, Peeters Publishers, (pp. 189-249).
33. Nozomu Yamada, (2020), ***Pelagius' View of Ideal Christian Women in his Letters, Critical Perspectives of Recent Pelagian Studies Comparing Chrysostom's View in his***

Letter to Olympias, Journal of Patrology and Critical Hagiography**,** Scrinium (16), (p.p. 67-88).

34. Parker Haratine, (2023), **The Ancestral Sin is Not Pelagian**, Journal of Analytic Theology, Vol. 11, Summer, (p.p 1-13).

35. Peter Brown, (1970), ***The Patrons of Pelagius: The Roman Aristocracy Between East and West,*** The Journal of Theological Studies, APRIL, new series, Vol. 21, No. 1, Oxford University Press, (pp. 56-72).

36. Peter Brown, (1967), ***Augustine of Hippo***, University of California, Berkeley.

37. Rafał Toczko, (2013), ***The Image of Templum dei in Pelagius and Augustine,*** Augustiniana, 63, (1-4), Peeters Publishers, (p.p. 231 -255).

38. Roberto J. De La Noval, (2023), ***Pelagianism Redivivus: The Free Will Theodicy for Hell, Divine Transcendence, and the End of Classical Theism***, Modern Theology Month, John Wiley & Sons Ltd. (p.p.1-21).

39. Sylvain Bergeron, (2022), ***Arianism and Pelagianism: Two Great Heresies of the Fourth and Fifth Centuries,*** Journal of History and Future, Volume 8, Issue 4, (p.p.1172-1178.)

40. Van Egmond, P. J. (2013), ***A Confession without Pretence Text and Context of Pelagius' Defence of 417 AD***, PhD - Thesis - Research and graduation internal, Vrije Universiteit Amsterdam.
https://digitalcommons.csbsju.edu/sot_papers/4